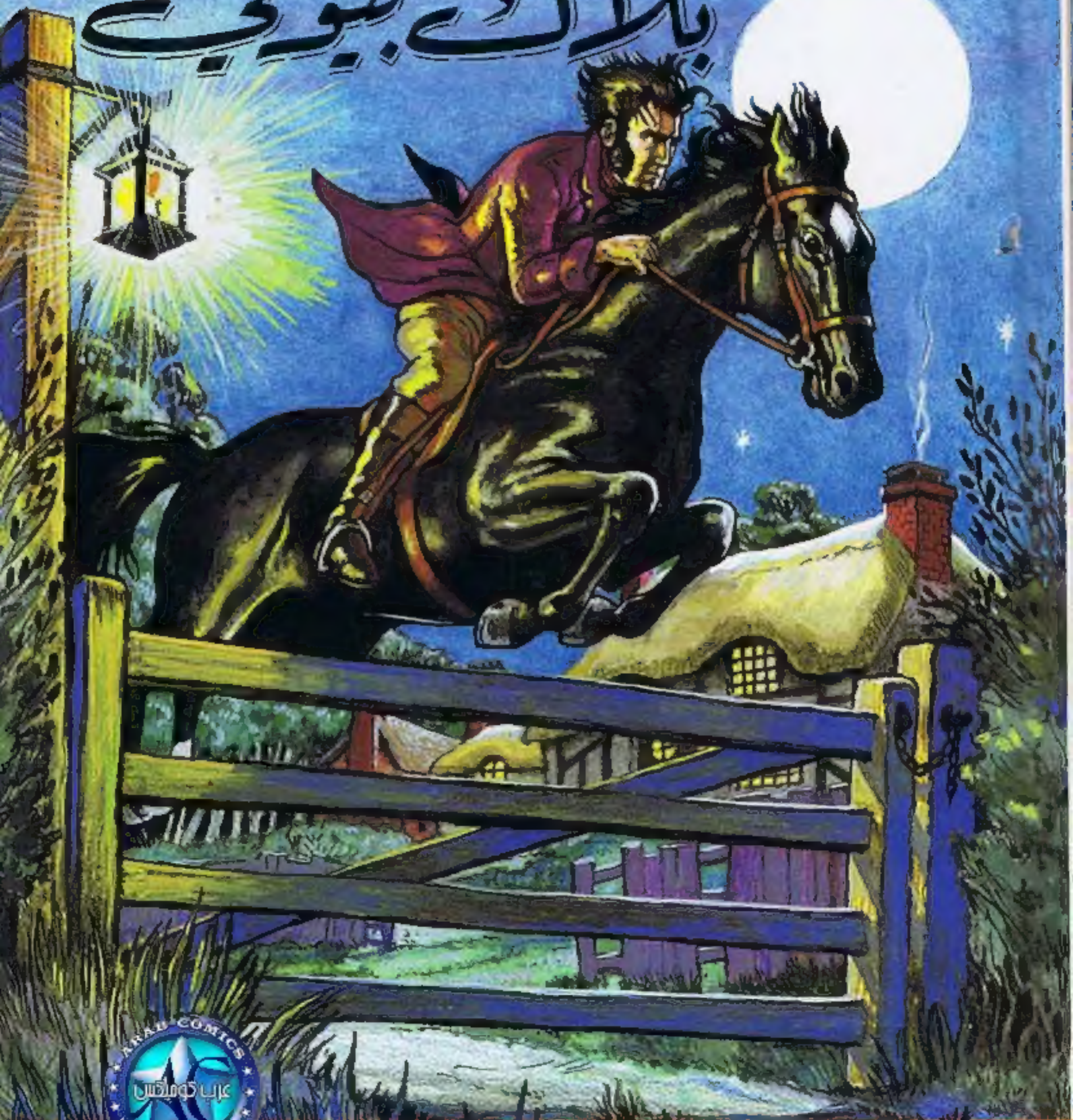


كتب الفراشة - القصة العالمية



المهر الأسود بلاك بيري



كتب الفراشة - القِصص العالمية

المُهْرُ الْأَسْوَدُ بِئْلَاكِ بِئُوتِي



إِعْدَاد: الذَّكُّورُ الْبِيرُ مُطْلَق
عَنْ قِصَّة: أَنَا سِرُّوَل



مَكْتَبَةُ لِبْنَاتِ نَاشِرُونَ

مَكْتَبَةُ لُبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.ك.

زقاق البلاط - ص.ب. : ٩٢٣٣ - ١١

بَیروت - لُبْنان

وُكلاء ومُوزِعُونَ في جَمِيعِ أُنحاءِ العالَمِ

© الحَقوقُ الكامِلةُ مَحفوظة

لِمَكْتَبَةِ لُبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.ك.

الطبعة الأولى ١٩٩٦

رَقْمُ الكِتَابِ 01 C 196823

طُبِعَ في لُبْنَانَ



مقدمة

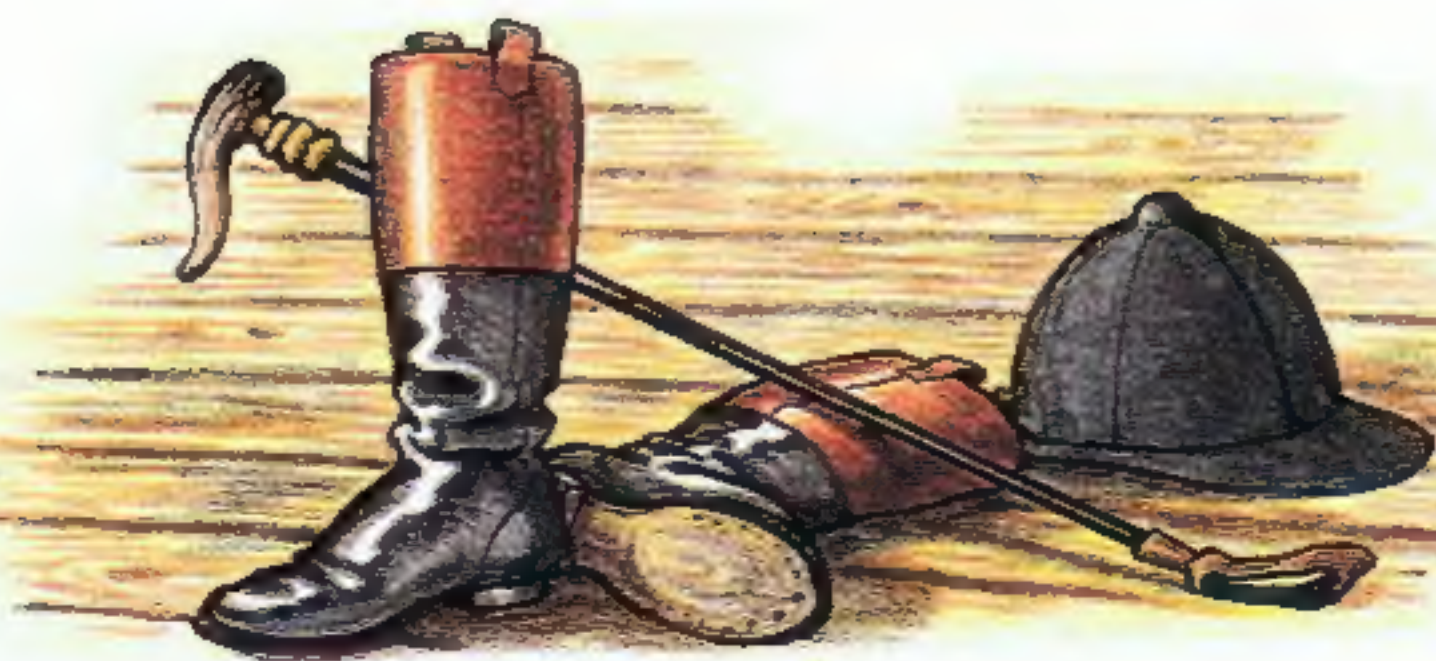
كِتَابٌ مُشَوِّقٌ جَدًّا يَرْوِي حِكَايَةَ جَوَادٍ وَدِيعٍ شَجَاعٍ وَحِكَايَةَ أَصْحَابِهِ. كُتِبَ فِي الْعَامِ ١٨٧٦ وَنُشِرَ فِي الْعَامِ التَّالِي قُبَيْلَ وَفَاةِ مُؤَلِّفَتِهِ آتَا سَوَّلَ. وَلَا قِيَّ عَلَى الْفَوْرِ نَجَاحًا بَاهِرًا، وَلَا يَزَالُ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ قَرْنٍ عَلَى تَأْلِيْفِهِ وَاحِدًا مِنْ أَحَبِّ الْكُتُبِ إِلَى قُلُوبِ الْأَحْدَاثِ.

دَفَعَ الْمُؤَلِّفَةُ إِلَى كِتَابَةِ قِصَّتِهَا مَا لَمَسَتْهُ مِنَ الْمُعَامَلَةِ الْقَاسِيَةِ الْجَائِرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَعَرَّضُ لَهَا كَثْرَةُ الْجِيَادِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. أَرَادَتْ أَنْ تُرِي النَّاسَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْجِيَادُ مِنْ سَاعَاتِ عَمَلٍ طَوِيلَةٍ، وَأَحْمَالٍ ثَقِيلَةٍ، وَإِسْطِْبَلَاتٍ قَدِيرَةٍ مُتْنَبَةٍ، وَنَقْصٍ فِي الطَّعَامِ وَقَلَّةٍ عِنَايَةٍ. وَفَوْقَ ذَلِكَ، مَا كَانَ شَائِعًا، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، مِنْ اسْتِخْدَامِ الْعِنانِ الْقَصِيرِ الَّذِي يُجْبِرُ الْجِيَادَ عَلَى أَنْ تُبْقِيَ رُؤُوسَهَا مَرْفُوعَةً، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ أَلَمٍ وَمُعَانَاةٍ.

لَقَدْ نَجَحَتْ الْمُؤَلِّفَةُ فِي سَعْيِهَا إِلَى تَحْسِينِ مُعَامَلَةِ الْجِيَادِ نَجَاحًا كَبِيرًا. وَعَتَّ النَّاسَ إِلَى أَهْمِيَّةِ الرَّفْقِ بِالْجِصَانِ، وَأَسْهَمَتْ شَعْبِيَّةُ كِتَابِهَا فِي إلْغَاءِ الْعِنانِ الْقَصِيرِ. وَشَاعَ اسْتِخْدَامُ الْكِتَابِ كَمَرْجِعٍ لِدِرَاسَةِ الْعِنَايَةِ بِالْخَيْلِ. بَلْ حَدَّثَ فِي أَمِيرِكََا أَنَّ أَمِيرَ رَجُلٍ سُجِنَ شَهْرًا بِتُهْمَةِ إِسَاءَةِ مُعَامَلَةِ الْخَيْلِ أَنْ يَقْرَأَ «بَلَاكُ بِيوتِي» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِيَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَعْثِي بِجَوَادِهِ الْعِنَايَةَ الصَّحِيحَةَ.

غَيْرَ أَنَّ «بلاك بيوتي» لَيْسَ كِتَابًا حَوْلَ الْعِنَايَةِ بِالْخَيْلِ فَقَطْ. إِنَّهُ أَيْضًا قِصَّةُ مُغَامَرَاتٍ مُثِيرَةٍ مُشَوَّقَةٍ. إِنَّ فِيهِ حِكْمَةً مُدْهِشَةً، وَفِيهِ بَطْلٌ يُصَارِعُ ضِدَّ أَحْدَاثٍ تَسْعَى إِلَى قَهْرِهِ. وَفِيهِ لَحَظَاتٌ مِنَ التَّرْقُبِ وَالتَّهَيُّبِ، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ اللَّحْظَةُ الَّتِي يُحْتَبَسُ فِيهَا بِلَاكُ بِيُوتِي فِي إِسْطَبِلٍ يَحْتَرِقُ، أَوْ اللَّحْظَةُ الَّتِي يُؤْشِكُ فِيهَا أَنْ يَنْدْفِعَ بِعَرَبَتِهِ فَوْقَ جِسْرِ مُخْلَعٍ. وَفَوْقَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْكِتَابَ مَلِيٌّ بِشَخْصِيَّاتٍ بَارِزَةٍ الْمَعَالِمِ. إِنَّ الْجِيَادَ الَّتِي تَرُثِمُهَا آتَا سَوَّلَ هِيَ شَخْصِيَّاتٌ يَجِدُ فِيهَا الْقَارِئُ مُقَابِلَاتٍ فِي الْحَيَاةِ وَيَتَعَاطَفُ مَعَهَا.

مُنْذُ أَنْ نَشَرَتْ آتَا سَوَّلَ كِتَابَهَا صَدَرَ الْعَدِيدُ مِنَ الرُّوَايَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ مُعَامَلَةِ الْحَيَوَانَاتِ مُعَامَلَةً قَاسِيَةً. مُعْظَمُ تِلْكَ الْكُتُبِ غَمَرَهَا النُّسْيَانُ. لَكِنَّ الْأُسْلُوبَ النَّابِضَ بِالْحَيَاةِ الَّذِي رَوَتْ فِيهِ آتَا سَوَّلَ قِصَّتَهَا، أَمَّنَ لَهَا، عَلَى مَرِّ السِّنِينَ، رَوَاجًا عَظِيمًا.



المَهْرُ الْأَسْوَدُ

كُنْتُ وَأَنَا مُهْرٌ أَعِيشُ مَعَ أُمِّي فِي مَرْجٍ بَهِيَجٍ وَاسِعٍ تَتَوَسَّطُهُ بَرَكَةٌ مَاءٍ صَافٍ. كُنَّا فِي الْأَيَّامِ الْحَارَّةِ نَسْتَظِلُّ أَشْجَارًا كَانَتْ تَنْمُو عَلَى حِفَافِ الْمَاءِ، أَمَّا فِي الْأَيَّامِ الْبَارِدَةِ فَقَدْ كَانَ لَنَا فِي أَعْلَى الْمَرْجِ، قَرِيبًا مِنَ الْمَرْعَةِ، سَقِيفَةٌ لَطِيفَةٌ دَافِئَةٌ نَلْتَجِي إِلَيْهَا.

كَانَ فِي الْحَقْلِ أَيْضًا أُمَهَارٌ أُخْرَى اعْتَدْتُ أَنْ أَجْرِيَ مَعَهَا وَالْعَبَ. وَكَانَتِ الْخُشُونَةُ تَطْغِي عَلَيْنَا أحيانًا فَتَرْفُسُ بَعْضَنَا بَعْضًا وَتَعَضُّ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ حَمَحَمَتْ أُمِّي تَسْتَدْعِينِي إِلَيْهَا، وَأَعْطَتْنِي نَصِيحَةً لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا. قَالَتْ لِي:

«أَنْتِ مِنْ سُلَالَةٍ أَصِيلَةٍ وَمَنْبِتٍ حَسَنٍ. آمِلُ أَنْ تَنْشَأَ عَلَى اللَّطْفِ وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ. لِتَكُنْ حَسَنَ النَّيَّةِ فِيمَا تَفْعَلُ. إِخْرِضْ عِنْدَمَا تَحُبُّ عَلَى أَنْ تَرْفَعَ قَوَائِمَكَ عَالِيًا، وَلَا تَرْفُسْ أَوْ تَعَضَّ أَبَدًا حَتَّى وَلَا فِي اللَّعِبِ.»

جَعَلَ صَاحِبُنَا مِنْ أُمِّي قَرَسَهُ الْمُفَضَّلَةَ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَجْلِبُ لَنَا خُبْرًا أَوْ جَزْرًا، وَلَا يَسْمَحُ لِأَيِّ كَانَ أَنْ يَكُونَ فِي مُعَامَلَتِنَا خَشِنًا أَوْ قَاسِيًا.





في صباح يوم ربيعي بارد، ولم أكن قد بلغت الثانية من عمري بعد، حدث ما لا أنساه أبداً. كنا، أنا والأمهات، نرتفع قرب الجدول في النجائب الأسفل من المرح عندما تنهي إلينا من بعيد أصوات كلاب نعوي.

قالت أمي: «إنهم يلاحقون أرنباً. إذا أقبلوا ناحيتنا رأينا مطاردة الضيد».

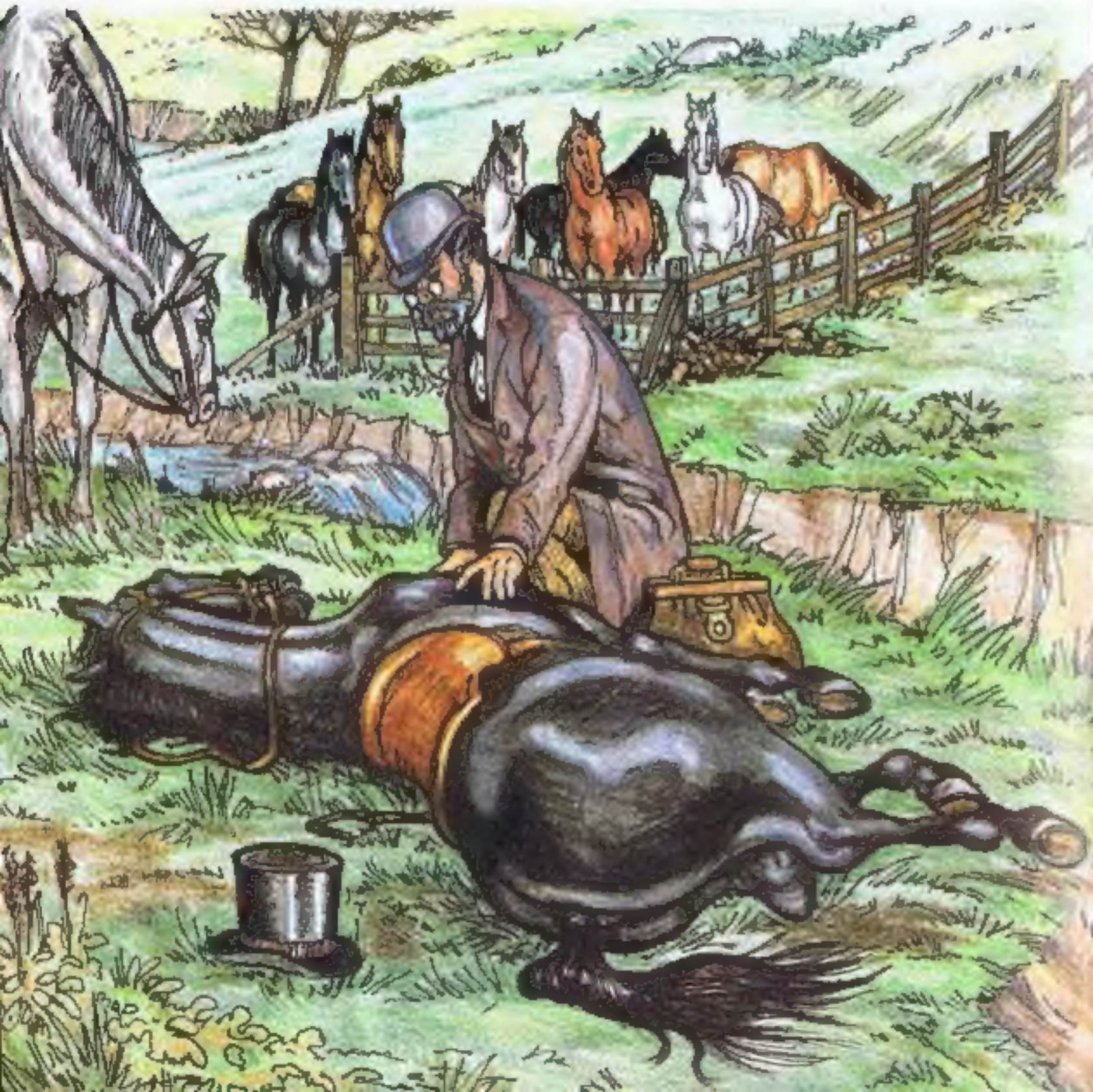
رأينا، بعد وقت وجيز، أرنباً يتدفع أمامنا اندفاعاً مذهوراً. ورأينا كلاباً تلاحقه. ووراء الكلاب رأينا عدداً من الرجال يجرّون على خيولهم بما يتقدرون عليه من سرعة. وصلت الكلاب إلى الجدول فخاصته. ثم وصل الرجال على أفراسهم فخاص بعضهم فيه وجرى بعضهم ليعبره في قفزة واحدة. حاول الأرنب أن يتخلص من مطارديه لكن سرعان ما كانت الكلاب قد وصلت إليه وقصّت عليه.

التفت إلى الجدول فرأيت مشهداً مخزناً. رأيت فرسين رايعين منظر حزين أرضاً يئسان. كان أحد الفارسين يحاول آنذاك الخروج من الماء الذي وقع فيه. أما الآخر فكان ساكناً لا يتحرك. قالت أمي: «كسر عنقه».

خطر لي عندئذ أن ذلك الفارس قد نال جزاءه. لكن أمي خالفني الرأي. قالت: «لا تقل ذلك، يا بني. أنا فارس عجوز، ومع ذلك فأني لا أفهم لم يتعلق الناس بهذه الرياضة. كثيراً ما يؤذون أنفسهم ويهلكون خيولهم ويفسدون حقولهم. وذلك كله طمعاً بأرنب أو ثعلب أو غزال، وهم قادرين على أن يحصلوا على ما يريدون بوسيلة هينة غير تلك. ولكن ما أدرانا فئح، معسر الخيول، لا دراية لنا بهذه الأمور!»

وَيَسْمَا كَانَتْ أُمِّي تُكَلِّمُنِي، رَأَيْتُ رَجُلًا يَرْفَعُونَ الشَّابَّ الْقَتِيلَ مِنَ الْجُدُولِ
وَيَحْمِلُونَهُ. وَعَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الشَّابَّ، وَكَانَ زَيْنَ الشُّبَابِ، ابْنُ صَاحِبِ قَصْرِ
الْحَدَائِقِ الْمُجَاوِرِ. سُرْعَانَ مَا أَقْبَلَ الْبَيْطَارُ وَرَأَيْنَاهُ يَتَحَسَّسُ الْجَوَادَ الْأَسْوَدَ الَّذِي
كَانَ يَتَنَزَّلُ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْعُشْبِ، ثُمَّ يَهْرُ رَأْسُهُ أَسْفًا. رَأَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلًا يَجْرِي
إِلَى مَنْزِلِ صَاحِبِنَا وَيَعُودُ بِبُنْدُوقِيَّةٍ. وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتٍ حَتَّى دَوَّتْ طَلْقَةٌ فِي الْقَضَاءِ
رَأَيْنَا مَعَهَا جَسَدَ الْجَوَادِ يَخْتَلِجُ الْخِلَاجَةَ سَرِيعَةً ثُمَّ يَهْمُدُ.

أَصَابَ أُمِّي كَرْبٌ شَدِيدٌ. قَالَتْ لِي إِنَّهَا قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ الْجَوَادَ مُنْذُ سِنِينَ.
كَانَ جَوَادًا وَدِيعًا كَرِيمًا، لَا عِلَّةَ فِيهِ. وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ تَطَأْ قَوَائِمُهَا الْأَرْضَ
الَّتِي وَقَعَ فِيهَا.
فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَصَلَتْ عَرَبَةٌ غَرِيبَةٌ مُجَلَّلَةٌ بِالشَّوَادِ، وَتَجُرُّهَا جِيَادُ سَوْدَاءَ. رَأَيْنَا
تِلْكَ الْعَرَبَةَ تَحْمِلُ الشَّابَّ الْقَتِيلَ إِلَى مَدْفِنِ الْعَائِلَةِ. لَنْ يَرَكِبَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَرَسًا. أَمَّا
مَا فَعَلُوهُ بِالْجِصَانِ الْقَتِيلِ فَلَمْ يَصْلُنِي عِلْمُهُ. كُلُّ ذَلِكَ طَمَعًا بِاِقْتِنَاصِ أَرْتَبِ صَغِيرٍ.





إِذْ بَلَغْتُ الرَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِي كَانَ كُلُّ مَنْ حَوْلِي قَدْ أَدْرَكُوا أَنِّي جَوَادٌ بِهِيُ
الطَّلَعَةِ. كَانَ جِلْدِي أَسْوَدَ نَاعِمًا لَمَاعًا. وَقَدْ زَادَنِي بِهِاءٌ أَنْ إِحْدَى قَوَائِمِي يَبِضَاءُ
وَأَنَّ غُرَّةَ نَجْمِيَّةٍ يَبِضَاءُ تُزَيِّنُ جَبْهَتِي. وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ السَّيِّدُ غُورْدُنْ، صَاحِبُ
قَصْرِ الْحَدَائِقِ الْمُجَاوِرِ وَوَالِدُ الشَّابِّ الَّذِي ذَهَبَ ضَحِيَّةً حَادِثِ الصَّيْدِ،
وَتَفَحَّصَنِي. وَسُرَّعَانَ مَا أَبْدَى رِضَاهُ عَنِّي وَعَزَمَ عَلَيَّ شِرَائِي. فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي
قَدْ أَتَمَّ تَرْوِضِي عَلَى الْحَمَلِ وَجَرَّ الْعَرَبَاتِ. فَعَلَ ذَلِكَ بِرَفْقٍ شَدِيدٍ وَعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ.



في أوائل أيار (مايو) أُرْسِلَ الشَّيْخُ غُورْدُنْ وَاحِدًا مِنْ رِجَالِهِ لِيَأْخُذَنِي إِلَى قَصْرِهِ. كَانَ الْقَصْرُ وَاسِعًا تُشْتَمِلُ بَعْضُ الْحِطَائِرِ الْمُلْحَقَةِ بِهِ عَلَى الْعِدِيدِ مِنَ الْخُيُولِ وَالْعَرَبَاتِ. وَقَدْ أُنْزِلَنِي الرَّجُلُ فِي مَقْسَمٍ وَاسِعٍ مُرِيحٍ مِنَ الْإِسْطَبْلِ، وَأَعْطَانِي بَعْضَ الشُّوفَانِ الشَّهِيٍّ وَرَبَّتْ جَسَدِي بِلُطْفٍ وَمُضَى.

كَانَ فِي الْمَقْسَمِ الْمُجَاوِرِ مَهْرٌ أَشْهَبُ صَغِيرٌ سَمِينٌ ذُو عُرْفٍ وَذَيْلٍ غَزِيرَيْنِ، عَلِمْتُ أَنَّ اسْمَهُ مَرْلَعٌ. كَانَ مَهْرًا وَدودًا جَدًّا، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ صَبَايَا الْمَنْزِلِ. أَمَّا الْمَقْسَمُ الَّذِي بَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ فِيهِ فَرَسٌ كَسْتَنَائِيَّةٌ طَوِيلَةٌ بَهِيَّةُ الطَّلَعَةِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلَ الْتِقَائِي بِهَا مُجَافِيَةً. خَرَجْتُ تِلْكَ الْفَرَسُ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنَ الْإِسْطَبْلِ، فَانْتَهَرَ مَرْلَعُ الْفَرَسَةِ وَأَخْبَرَنِي سَبَبَ مَا فِيهَا مِنْ جَفَاءٍ. قَالَ إِنَّ الَّذِينَ تَوَالَوْا مِنْ قَبْلُ عَلَى امْتِلَاقِهَا عَامِلُوهَا مُعَامَلَةً قَاسِيَةً، فَتَوَلَدَتْ عِنْدَهَا عَادَاتٌ سَيِّئَةٌ كَالْعَضِّ وَالرُّفْسِ.

ثُمَّ قَالَ: «لَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّ جَنْجَرَ سَتُحْسِنُ التَّصَرُّفَ هُنَا، فَلَيْسَ فِي الْبِلَادِ كُلِّهَا مَكَانٌ يَفْضُلُ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ حَيْثُ الْعِنَايَةُ بِالْخَيْلِ.»

كان سائق عربتنا. حنون مثلي. خيّر من يَحسُّ بيأسه تحيلاً. راد أن
يُحرّني فَمُنْطَى ظَهري وَخَري في البَرَّة. وَعَدَ فَمُنْطَحي أَماءَ صاحِبِ المَرْزَعَةِ.
وَقَالَ: يَهْ سَريعٌ كالمُعرابِ. نَبْطُ شَهْمٌ. وَنَ حَرَكةٌ خَمِيئةٌ مِن لُعانِ تَوَجُّهه.



أَبْدَى صَاحِبُ لَحْرَزَعَةِ سُورَةِ بِي وَرَأَى هُوَ وَنَشِيدَةُ زَوْجَتِهِ أَنَّ يُسَمِّي بِلَالَك
بِيوتِي . نِي الْجَمَانِ الْأَسْوَدَ .

كَانَ عَلَيَّ . بَعْدَ أَيَّامٍ . أَنَّ أَجْرًا . وَجَنَاجِرَ عُزْبَةٍ . أَحْسَنَتْ التَّصَرُّفَ . وَغَمِلَتْ
بِهَيْمَةٍ وَتَشَاطُطٍ . وَسُرْعَانٍ مِ الْأَصْبَحِ . أَنَّ وَجَنَاجِرَ . صَدِيقَتَيْنِ . وَقَدْ سَاعَدَتْنِي
صُحْبَتُهَا وَصُحْبَةُ مَرِيعٍ عَلَيَّ أَنَّ أُنْعَوِّدَ عَلَيَّ مَرَّتَيْنِ الْجَدِيدِ وَأَصْصِيئُ إِلَيْهِ .

عَلَيَّ نِي لَمْ أَكُنْ مُتَعَوِّدًا عَلَيَّ أَنَّ أَقْصِي مُعْظَمَ وَقْتِي فِي إِنْصَابٍ . وَجَدْتُ ذَلِكَ
غَرِيبًا . وَكُنْتُ لِذَلِكَ أَسْتَحِبُّ أَيَّامَ الْعُصَّةِ الْأُسُوعِيَّةِ الَّتِي كُنَّا نَقْضِيهَا نَ وَسَائِرُ
الْخِيُولِ فِي مَرْعَى مُحَدَوِّ . كُنَّا فِي يَتُّ لَأَيَّامٍ نَجْرِي عَلَيَّ هَوَانًا وَنَتَقَلَّبُ عَلَيَّ
صُورِيَا وَنَرْتَعُ الْحَشِيشَ . وَكُنَّا أَحْبَبَ تَجَمُّعُ فِي ضِلَّ شَجَرَةِ الْكَسْتَنَاءِ الْوَارِقَةِ
الضَّلَالِ وَنَتَجَذَّبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ . وَفِي هَذَا الْمَكَانِ حَدَّثَتْنِي جَنَاجِرُ عَنِ الْمُعَامَلَةِ
الْقَابِضَةِ الَّتِي عَانَتْ مِنْهَا فِي مَا مَضَى .

قَالَتْ : نُو نَشَأْتُ مِثْلَكَ نَشْأَةً هَرِيَّةً لَعْنِي كُنْتُ مِثْلَكَ حَقًّا رَضِيًّا . أَعْتَقِدُ
الآن أَنِّي لَنْ أَكُونَ يَوْمًا مِثْلَكَ . لَمْ يَكُنْ عِنْدِي . كَمَا كَانَ عِنْدَكَ . سَائِسٌ عَطُوفٌ
يُرْعَانِي وَيُصْعِمُنِي الْأَصِيبَ . ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ سَائِسِي لَمْ يَقُلْ لِي فِي حَيَاتِي
كُلِّهَا كَيْفَةً لَصِيغَةً وَجَدَةً .

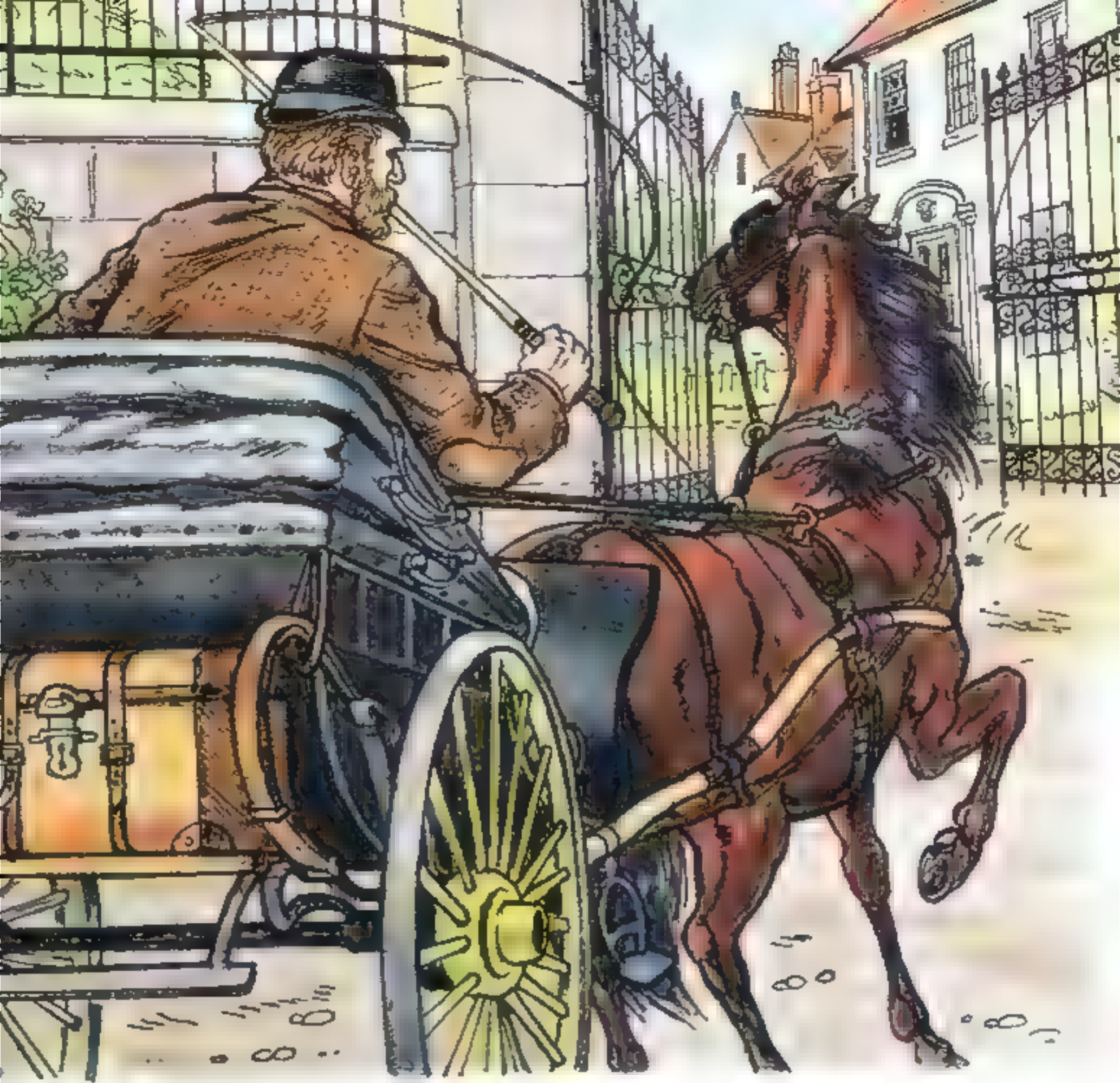
لَمْ أَخْبِرْتَنِي كَيْفَ أَنَّ سَائِسَهَا تَوَلَّى تَرْوِضَتِي عَلَيَّ الْخَمَلِ وَالْخَرَّ بِخَشُونَةٍ
وَقَسْوَةٍ . وَنَهَى عِنْدَمَا سَتُخْدِمْتُ بَعْدَ دِينِكَ فِي حَرِّ الْعَرَبَاتِ كَأَنَّ لَا تُصِيقُ ذَلِكَ
اللَّجَاءَ الَّذِي يُبْقِي رَأْسَ نَحْصَلٍ مَرْهُوعًا أَدْنَى . وَقَدْ تَحَدَّثْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَيَّ نَفْسِهَا
وَتَخَصَّصْتُ مِنْهُ وَنَكِرَ بَعْدَ أَنْ تَحَرَّقَ فَكَّاهُ . وَكَانَ أَصْحَابُهَا كَمَا لَحَسُوا مِنْهَا رَفْصَهَا
لِإِعْمَامَتِهِمْ يَتَخَصَّصُونَ مِنْهَا بِنَيْعِهِ . وَقَدْ بَيْعْتُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ بِنِي أَنَّ أَوْقَعَهَا نَحْطُ أَخِيرًا
فِي هَدْيِهِ الْمُرَّرَعَةِ . وَأَخَذْتُ . بِعِدِيَّةٍ جَوْنٍ مَائِي . تَتَحَوَّنُ إِلَيَّ حَيَوَانٍ لَطِيفٍ .



كُنْتُ كُلَّمَا طَالَتْ إِقَامَتِي فِي ذَلِكَ الْمَكَارِ رَدُّ ذُنُودُهُ وَغُتْرُ رَأْسِي فَقَدْ كَانَ
النَّاسُ جَمِيعًا يَجْتَمِعُونَ صَاحِبَ تَمَرُغَةٍ وَصَاحِبِئِهَا وَيُحْتَرِمُونَهَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبِي
يَتَرَدَّدُ أَبَدًا فِي تَعْيِيفِ كُنٍّ مِنْ يُسَيِّءُ مُعْدَمَةً خِيُونِ.

ذَكَرْتُ مَرَّةً أَنِّي كُنْتُ عَبْدًا بِصَاحِبِي بَنِي مُخْتَلِفٍ فَرَأَيْتُهُ رَاحِلًا صُحْبًا يُقْبِلُ نَحْوَهُ
فِي غَرِيَّةٍ خَمِيصَةٍ يُخْرِجُهَا مُهْرٌ نَصِيفٌ دُونَ قَوْيَةٍ رَشِيْقَةٍ وَرَأْسِي عَادِي عِنْدَهُ وَضَلَّ مُهْرُهُ
قَرِيبًا مِنْهُ انْتَفَتَحَ نَحْوُ بَوَابِهِ تَقْصِيرٌ. فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ الرَّحْلِ إِلَّا أَنَّ شَدَّ الْعِيْدَ
شَدَّةً عَظِيمَةً مُفَاجِئَةً كَادَتْ أَنْ تُوقِعَ مُهْرَهُ عَلَى قَدَمِهِ. ثُمَّ رَاحَ يَصْرِفُهُ بِالشَّوْطِ صَرْفًا
غَبِيًّا. إِنَّكَأَ مُهْرُهُ نَصِيفٌ إِلَى الْأَمْرِ. بَكِنِّي رَاحِلَ أَسْرَعَ يَشُدُّ عِيْدَ شَدَّةً عَظِيمَةً
تَكْمِي يَحْتَجِرُ فَكَّهُ.

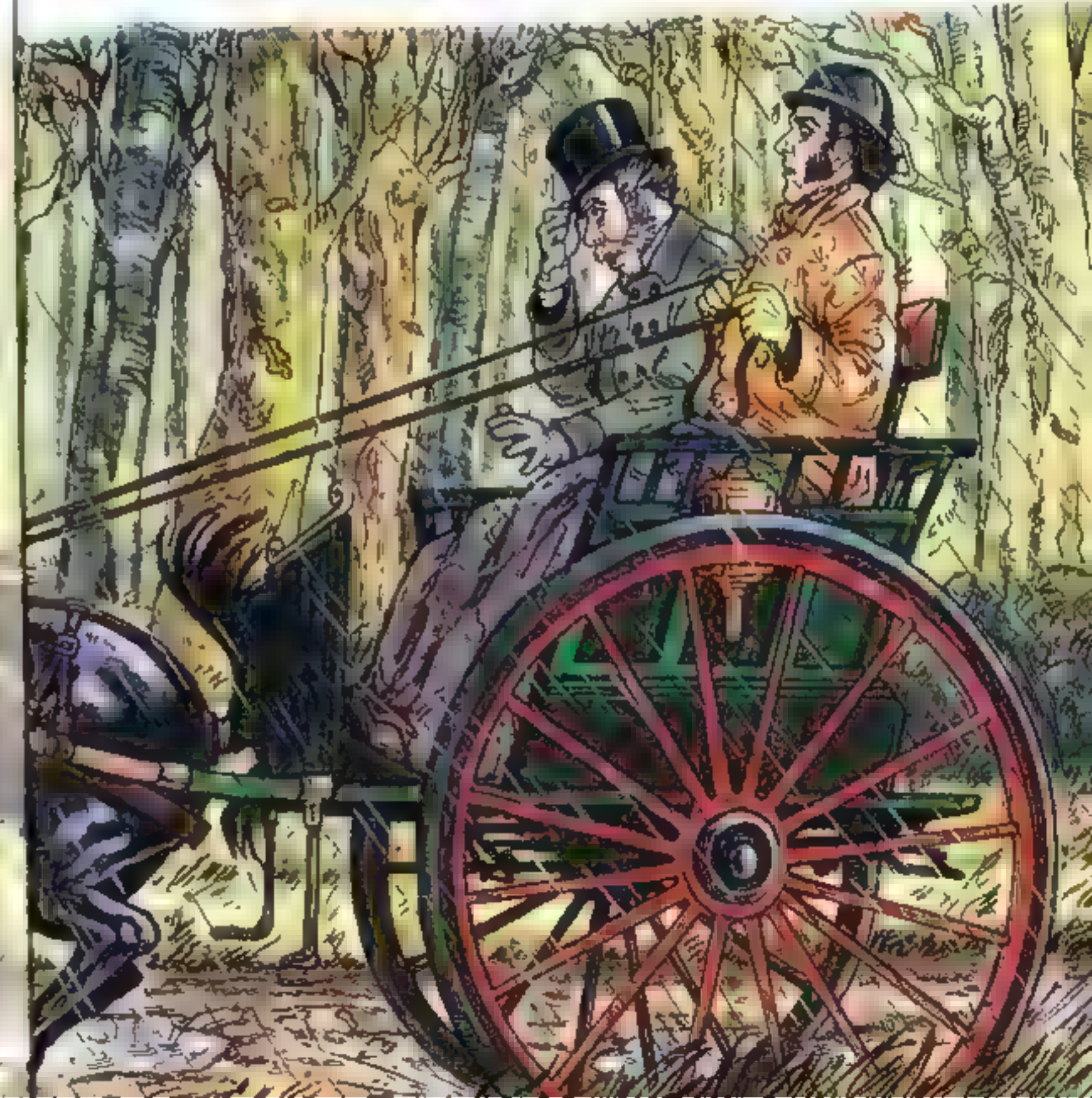
وَوَعَرْتُ أَنِّي صَاحِبِي بِالشَّوْطِ بِدِيكَ الرَّحْلِ. وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَصَاتٍ حَتَّى كُنْتُ بَنِي



قَالَ صَاحِبِي بِصَوْتٍ حَادٍ: «يَا سَيِّدُ، أَنْ لَمْ تُرَ مِنْ قَبْلِ أَحَدٍ يُعَامِلُ مُهْرًا
صَغِيرًا هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ الْحَبَابَةُ الْقَاسِيَةُ. إِنَّكَ بِسَيِّئِ سَلَامَتِكَ لِعَوَاضَتِكَ وَأَهْوَالِكَ تُسِيءُ
إِلَى نَفْسِكَ بِشَمِّ نَفْسِي إِلَى خَوَادِكَ وَأَكْثَرُ. نَذْكُرُ أَنَّ أَعْمَالَنَا تَدْبِسُ، سَوَاءٌ فِي
تَصَرُّفِنَا مَعَ إِخْوَانِنَا مِنَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْحَيَوَاتِ».

فَقَادَنِي صَاحِبِي إِلَى الْبَيْتِ عَلَى مَهْلٍ. وَقَدْ أَشْعَرَنِي صَوْتُهُ أَنَّهُ كَانَ حَزِينًا جِدًّا.

كان على صاحبي، في يوم من أيام أواخر الحريف، أن يقوم برحلة عمل
وكان عني أن أحر عربة خبيثة يقودها حور انطلقا مشرحين إلى أن بلغا
حشرا خشبياً وقد رأيت أن الأمطار الغريرة التي كانت قد تسفطت تسببت في
ارتفاع مستوى الماء التي وصلت إلى الحشر نفسه قال لنا حارس الحشر إن
منسوب المياه لا يزال يرتفع ارتفاعاً سريعاً، وإنه يخشى أن نكون بذلك ليلة
عاصفة، غير أننا تابعا سيرنا، فإنه لا يمكن إيقافنا أن تنفق المياه قوائمي.



لاحظنا في طريق عودنا مساء ذلك يوم أن ريح أحدث شتتاً ونزعنا من
هتت عاصفة مسعفة صاحبي يقود إنة لم ير في حياة عاصفة في شتتها ويبدو
كما شجادة العبد مسعفاً لرياح تغول بين الأشجار عويلاً مريعاً، فحذرة، مسعفاً
صريعاً شديداً، أصوات ستنق وأحلام ثم رأيت سحرة سديس تنشق أمامنا،
وقد أجمعت من خدور هذا، وتسلل عليك الطريق حممت في مكاني زرعش، فقلنا
حور في الحال إلى ظهرني ونسكي يهدئ من رؤي





« اذرحا نايه. وزخت انا في ضرب اخرى حيا سريعا بي ان بعد
 ب تقصر حرجا سيني شمس. فقال لها سيني
 « ما كن لك بيوني. « عريتي. شدة حكمه منا. كذا كذا وفقد في
 « عريتي »

« بي حيا بي لا اتصل وفقد بي عشاء شهيد. واصف بي فرشي صفة
 « من التل كذا عا شعبي ذلك التراش الوشر »

اشنح عيب فواصلة طريق دك فاسدر. واحد صريفا غير مشافه في
 نضام ستة امير. قبل ان يصل الي الحشر الحشي وما بن وصفت قلبي
 على الحشر حتى ذكر كذا انا مقبول على حشر فوفقت لا احرز غير آه ياوامر
 سيني ولا محاولات حيا حشي على فواصلة الشسر. وبعد حطاب رأينا
 حارس الحشر في الحد الآخر يحمل في يده مشعلا. ويخزي وهو يصيح
 « الحشر مكسور في وسطه. وقد حملت اميرة حيا منه. اذ واصلتكم التسير
 وفقت في النهار »

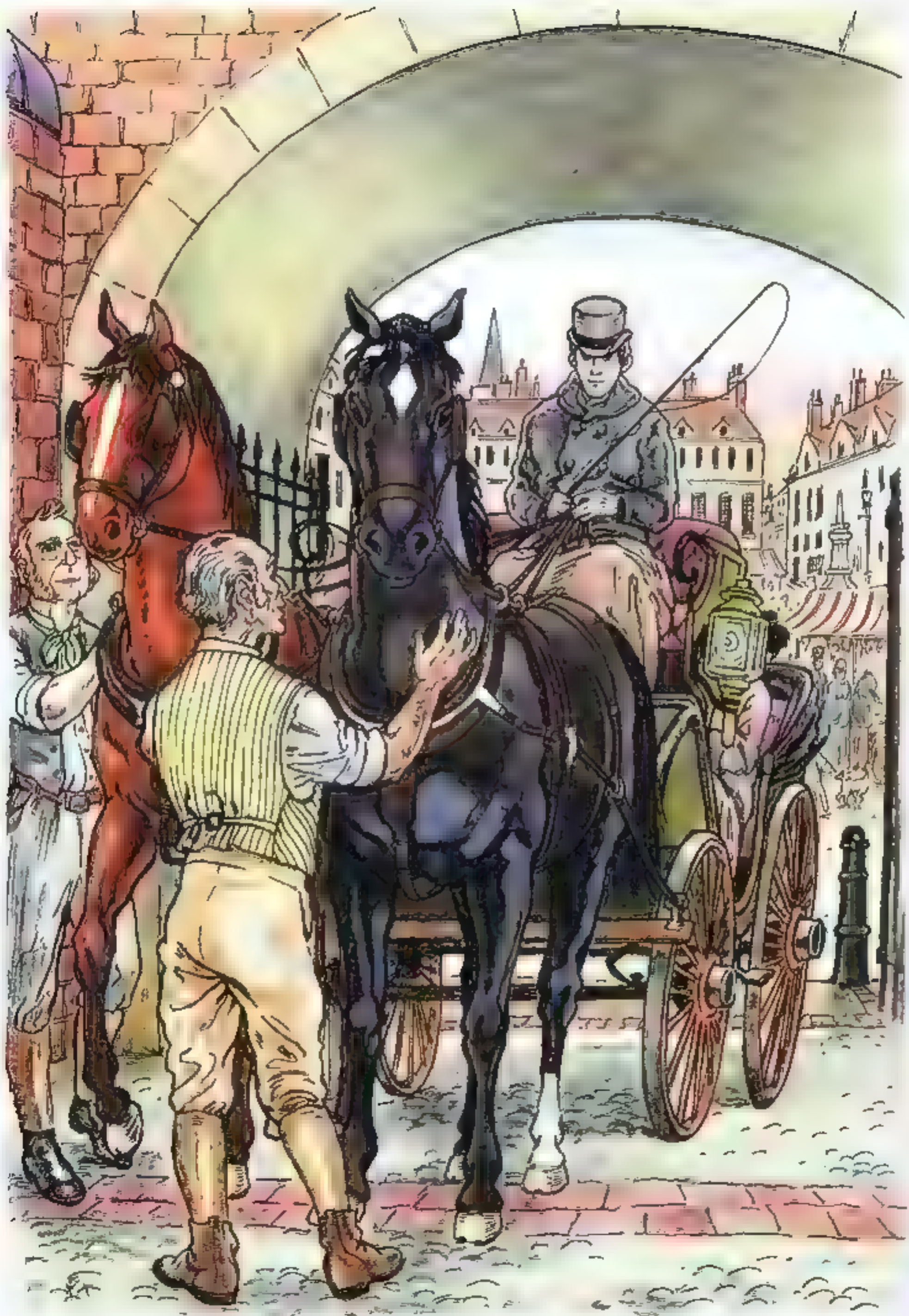
بعد أيام . عزم سيدي وسيدتي على زيارة بعض الأصدقاء في بلدة نعد على نحو ستة وأربعين ميلا . كان على حيمس . وهو شاب قوي حور تدربه على سياسة الخيل وقادة العربات . أن يقول العربة التي يقرر أن يترك في جزه حنجر وأن كان يعترض طريقنا ثلاث طوبى المسالك وعرة لكن حيمس قاد العربة بهادوء ودريّة فلم تنصايق

وصلة مساء نداء التي كان مقررا أن نقضي فيها ليلتنا . كان سرت في وسط البلدة وكان نرلا كبيرا . دخلنا إلى ساحة إسطبله عبر ممر مقنطر .

وسرعان ما قبل سائنا حيل لأحد . تولى السائس الكبير أمري . وتولى الآخر أمر جنحر . كان للسائس الكبير رخل موعود . وكان يسكن صائرة ملحظة وسرعان ما أزال عني ثعب الشتر بهارد ورغاية في أعنيهما في أحد سواد من قبل . كان رخلا حير .

وبينا كان يقوم بالعباية بي سمعته يخاطب السائس الآخر قائلا : « سألني الحيل عشرين دقيقة فأعرف أي نوع من الشواس تولى سائس . نظر إلى هـ الجواد . مثلا . فبته أيس وديع . يتحد حيث نساء . ويرفع قائسته إلى أن تنتهي من تفضيها ويصيغث في كى ما تطلت منه . وهم يختلف في ذلك كى الاختلاف عن الجياد الثاعسة التي نساء معملها ولا يعنى به العدة صحبحة . »

عندما علم أن مالكها هو السيد عورذن قال إنه قرأ في الحريدة حادثة الضيد التي ذهب صاحبها ابنة . فهنت عائد من حديثهما أن الجواد الأسود الذي هلك في تلك الحادثة كان أخي .

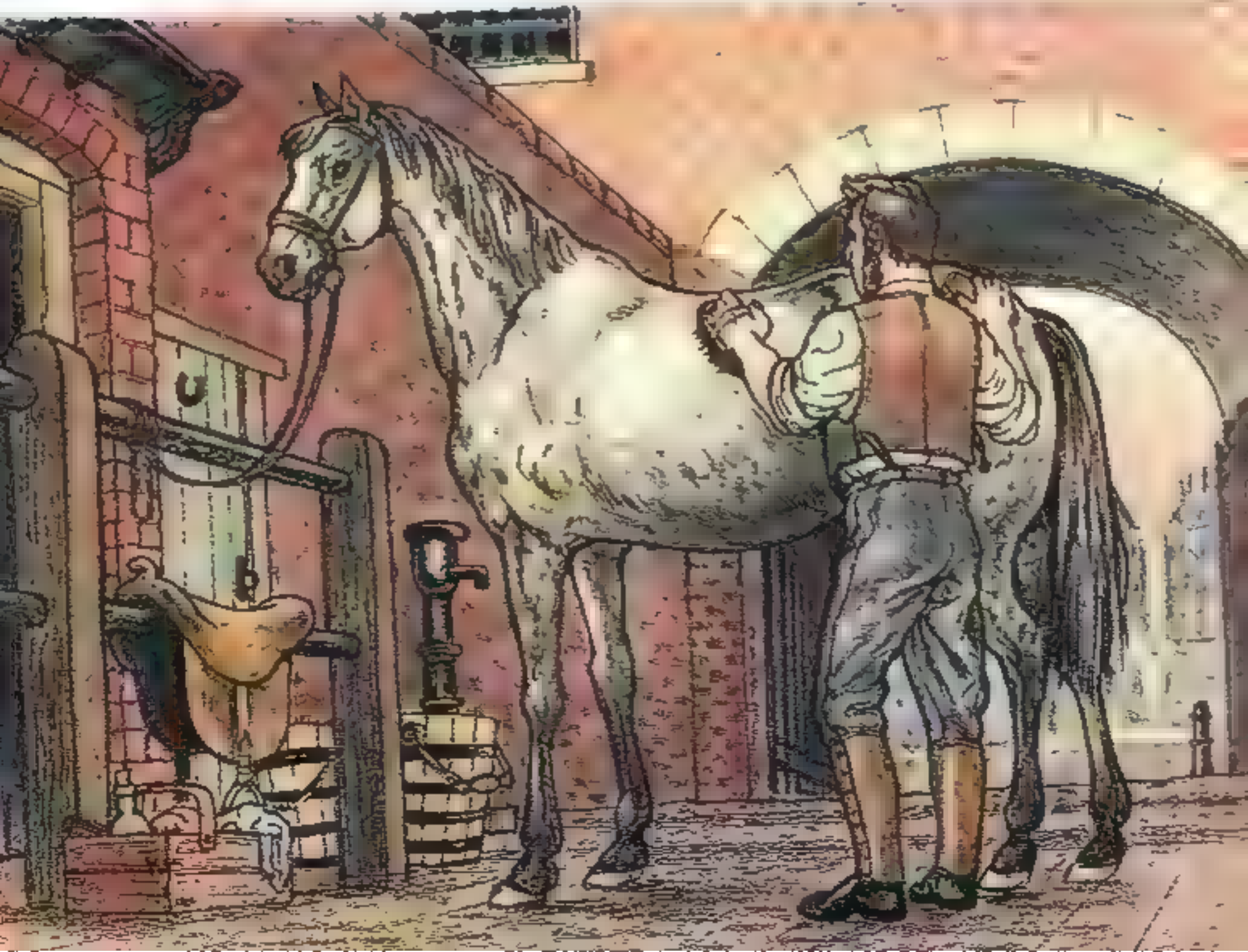


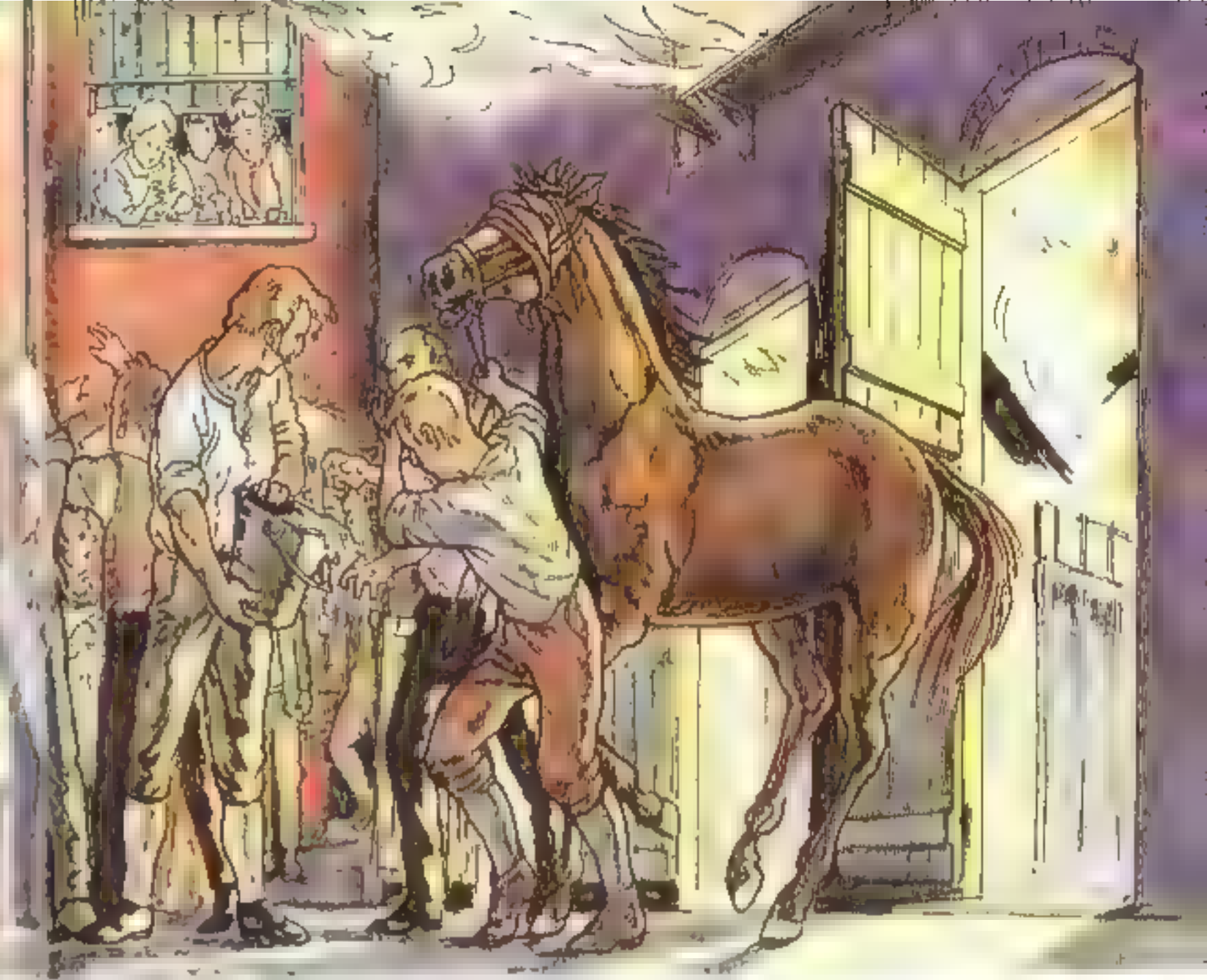
فِي دَيْتِ كُحْمَةٍ خَبَتْ مُسَائِسُ الشَّيْءِ إِلَى الْإِسْطِخَارِ حَوَادِّ آخَرَةٍ وَخَقْلٍ
 يُنْصِتُهُ فِي هَبِّهِ لَأَنَّهُ وَضَعَ سَابُ يُدْخِلُ غَيُورًا. قَدْ امْتَسَيْسَ بِدَيْتِ لَشَبِّ:
 «أَصْعَدْتُ إِلَى مُشَدَّةٍ وَهَبَتْ بِدَيْتِ الْخِصَصِ قَشًّا
 نَصَبَ سَابُ نَسَمَ نَسَقَهُ وَدَخَلَ مُشَدَّةٌ مِنْ بَابِ الْغَيُورِ.



لَا أَعْرِفُ كَمَ مِنْ الْوَقْتِ نِمْتُ. لَكِنْ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كُنْتُ فِي ضَيْقٍ شَدِيدٍ.
كَانَ الْهَوَاءُ ثَقِيلًا. وَبَدَأَ لِي غَيٌّ أَخْتَبِقُ. كَانَ بَابُ لَشَدَةِ الْعَدُوِّ لَا يَزَالُ مَقْنُوحًا.
سَمِعْتُ خِلَالَهُ صَوْتَ فَرْقَعَةٍ وَضُطْطَةٍ وَهَشْهَشَةٍ مُرِيَةٍ. جَعَلْتُ أَرْتَعِشُ. وَرَاحَتِ
الْخَيْونُ كُنْهَا تَشُدُّ بِأَرْبَاطِهَا وَتَحْبِطُ الْأَرْضَ.

حَاءَ السَّائِسُ الشَّيْ عَنَى عَحَابٍ وَرَاحَ بِحَالٍ أَرْضَةَ الْحَيْلِ. لَكِنَّهُ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ
مَذْعُورًا. وَلَمْ يَقْنَلْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْونِ لِأَنْقِيَادِهِ. كَمَا لِنَهَاءِ. لَكِنْ دُعُوهُ لِبَادِي
كَانَ قَدْ أَصَابَهُ بِأَعْدَاوِي فَلَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ بِشَيْءٍ تَثِقُ. وَارْتَفَعَتْ فِي الْخَارِجِ صَيْحَةٌ
تَقُولُ: «حَرِيقٌ!» رَأَيْتُ ضَوْءًا قَوِيمًا يَتَرَقَّصُ عَلَى الْجِدَارِ. ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ
هَدِيرٍ مُرِيٍّ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَصَلَ السَّائِسُ الْفَحُورُ. فَخَرَجَ فِي سُرْعَةٍ وَهَدَّوهُ
حِصَانًا. وَأَسْرَعَ إِلَى حِصَانٍ آخَرَ





من الأسطوانات المخترقة وعبرت نجيل من حصارها وسفت وشه الضحك
صوت سيدي يصيح:

«حيثما» حيثما «تت هذا» سمعت عنده صوت شيء يتحطم في
الأسفل وبعد عي لكن في المخططة الثانية. ريت حيثما يخرج من وسط
المدح. ومعه حنجر كست حنجر تسفل معدلا شمس. أما حيثما يكاد لا
شوي على الكلام

قال سيدي: وبنا ولدي الشجاع. حالما تنقبط أنفاسك ستخرج من هذا
المكان.

وشما كنا بهما بالرحيل ريتا عربة لأفندة مقفلة تحركها النجوى

ثم جاءني صوت حيثما شترخ نهادي يقول: «هذا» يا حناني. أن لنا
أن يخرج من هذا. هيا بنا.

«فترت» ووقفت فاصفد ثياب. فوصل بي أولا ورب حساني فصفنا
وسرعان ما كان قد أمسك بحامي ثم لفت شدة حوب عني برفق لمع عني
مشهد نادر، وقادني إلى خارج الأسطون

رفع نبال عن عيني. وسمت يدي بي شخص سيرو ونركي فصفنت
مخجنا وعلمت فيما بعد أن كنت مشهية قد ألمت حياة حنجر. وبها لم
تسمع صفنتي لأية من خارج الأسطون لما وجدت هي الشجاعة لتخرج منه.

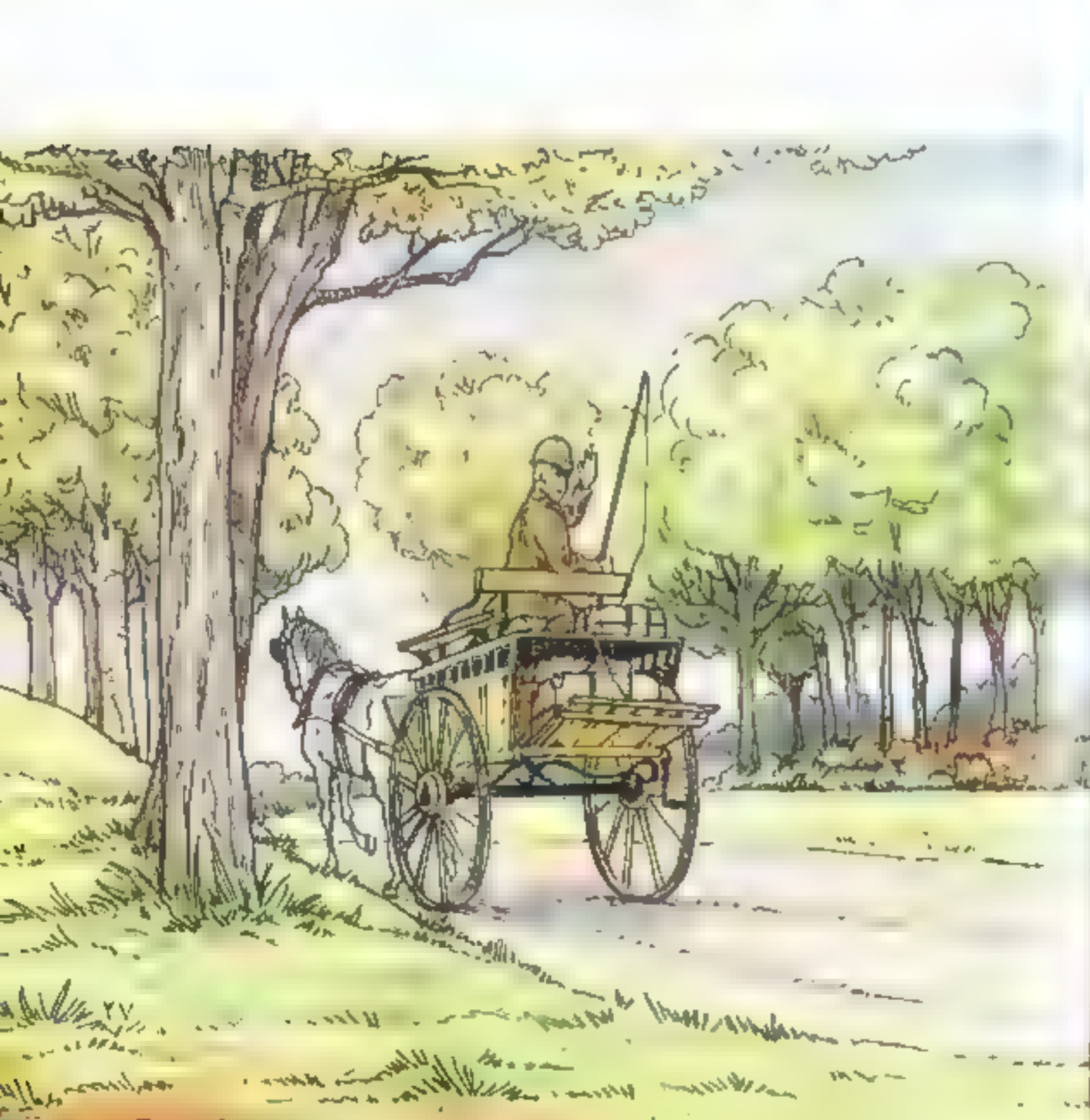
امتلات الساحة حمة وضطربنا. بينما كان لرحل نفسون عني إخراج الحاد

وَصَعِدَ فِي مُصَنَّلَاتِ تَرَبٍّ آخَرَ كَانَ سَبْتِي مَحُورَ حَيْمُسَ. وَكَانَ حَيْمُسَ فِي صَبَاحِ السَّوْمِ الثَّانِي مُتَسَرِّحًا لَكِنَّ لَمِنَةَ الْمَاحِيَةِ كَانَتْ مُرَبِّعَةً. وَمَاتَ فِي الْحَرِّينِ حَوَادِثَ وَقَدْ رَأَى الْخَمِيعَ أَنَّ ذَلِكَ شَابَّ الْبَايَ صَعِدَ إِلَى مُدَّةِ لُقْشَ هُوَ مُسْتَوُولٌ عَنِ اسْتِيعَالِ ذَلِكَ الْخَرِيقِ الْجَائِحِ، فَلَا بُدَّ أَنَّ النَّازِقَ قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى لُقْشَ مِنْ غُيُوبِهِ الْمُسْتَعْلِ

كَانَتْ نَفِثَةُ رَحْمَتَا مُبْتَسِرَةٍ. وَصَلْنَا بَعْدَهُ إِلَى مَرْبِ حَبِيبِ سَدَا وَفَعْدَ هُنَاكَ يَوْمَئِذٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

عِنْدَمَا غَدَتْ. سَمِعْنَا حَوْرَ مَنِّي يَقُولُ لِحَيْمُسَ إِنَّهُ سَتَبَرَّتْ قَتَى اسْمُهُ لَتَلِ حَوْرَ لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ. فَقَدْ كَانَ حَيْمُسَ قَدْ أَوْشَتْ عَلَى إِكْمَالِ تَلْثِيهِ، وَرَأَى مُبْدِنًا أَنَّ يَلْحَقَهُ مَحَلَّةٌ أَحَدَ أَصْدَقَائِهِ وَكَانَ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ يُحْتَمَلُ حَوْرَ غَنَّا أَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ. فَلَقَدْ كَانَ لَتَلِ حَوْرَ صَغِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِسِيَاسَةِ الْحَبَادِ

عَنِ أَنَّ حَوْرَ كَانَ رَحْلًا صَيِّدًا. يَذْكُرُ أَنَّهُ تُسَبِّحُ بِهِ، عِنْدَمَا كَانَ صَغِيرًا. مُدَرَّتْ قَدِيرٌ صَوْرًا. بَدَأَ مَعَهُ. عَنِ الرَّغْمِ مِنْ قُرْبِهِ. وَفَتَهُ وَجْهَهُ وَأَحْسَنَ حَوْرَ لِهَذَا أَنَّ دَوْرَهُ حَاءَ بِقُيُومِ تَعْمَلِ حَيْرَ وَقَدْ تَرَكَ حَيْمُسَ نَفْسَهُ مُقْتَلًا عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُ يَنْطَرُّ لَهُ مِنْ مُسْتَعْلِ رَاهِرَ



كُنْتُ فِي بَعْضِ لَيْلِي . بَعِيدٌ أَنْ عُدَّ جَيْشِي . قَدْ أَكْتُتُ صُغْمِي وَتَمَدَّدْتُ
عَلَى الْفُشِّ لِأَمِّ . فَحَدَّةٌ قَرَعَ حَرَسُ الْإِسْطَبِ قُرْعَةً سَدِيدَةً فَهَيْتُ وَفَقْتُ سَمْعُتِ
خُصُوتِ جَوْدِ تَجْجَعِ صَوْبِ تَقْصِر . لَمْ رَأَيْتُهُ يَعُودُ مُسْرِعًا وَيُشْتَبِحُ بَابَ الْإِسْطَبِ
وَشِجَّةَ بَيْ مَقْسَمِي . وَتُسْرِعَانِ مَوْضِعَ سُورِخٍ عَلَى ظَهْرِي وَوَضَعَ اللَّجَامَ فِي فَمِي
وَوَدَّعِي بِي تَوَاتُةً تَمُزِّدُ . كَأَنَّ سَيْدِي يَقِفُ هُنَا وَفِي يَدِهِ مِصْبَاحٌ . قَالَ :

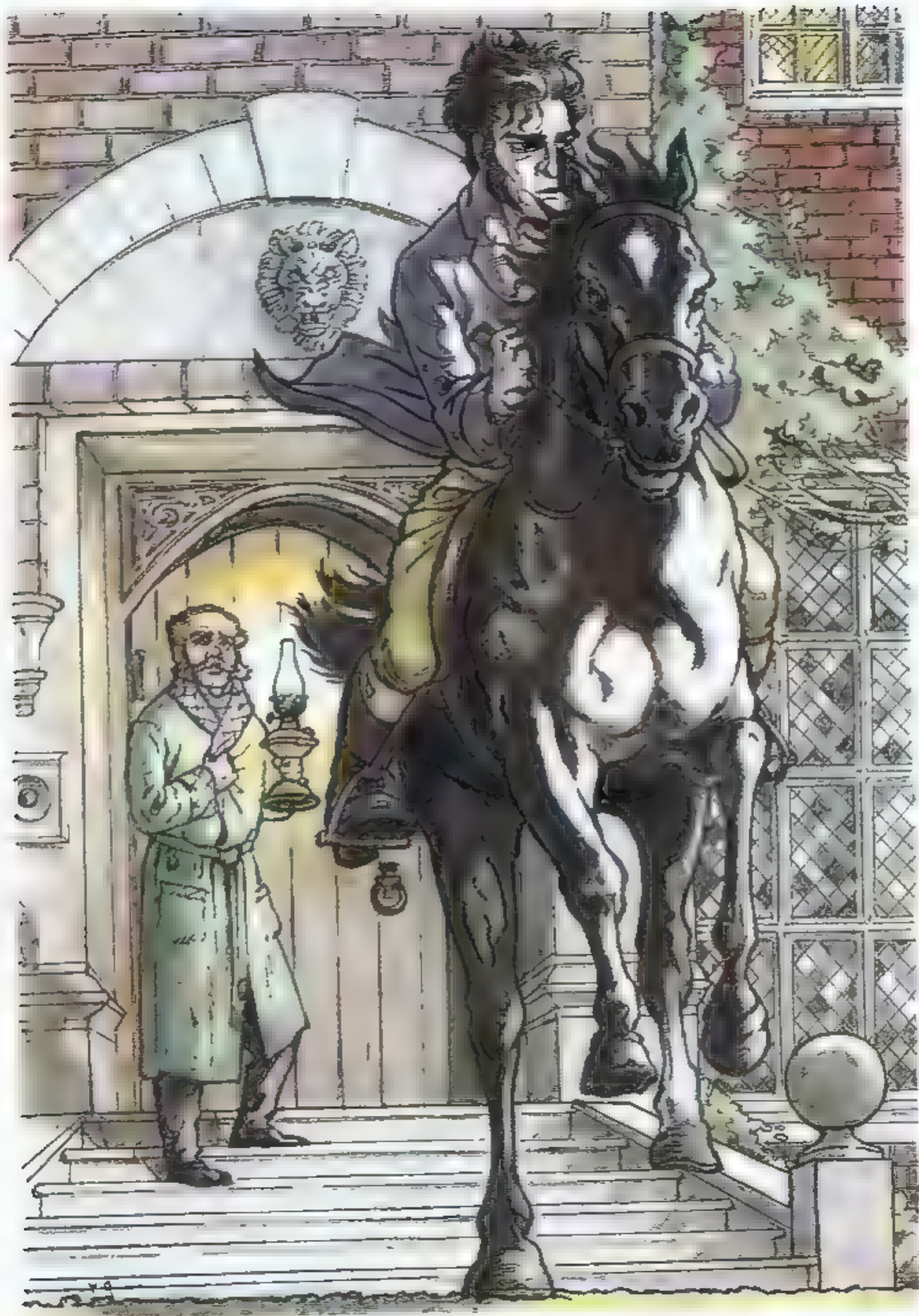
لَا أَنْ يَحُولَ رَجُلٌ خَرِي رَحْلِي يَنْحَوُّ بَحِيثًا . إِذَا كَانَ لِي أَنْ تَقْبَلَ سَيِّدَتِي
فَيَسَّ عَيْنَانِ حُظَّةً وَحَدَّةً نَضِيعَةً . تُعْصِرُ هَذِهِ ثَوْرَقَةً بِي لَمْ تُكْتَوِّرْ وَبِت . رُخْ
خَوْدِكَ فِي ثَرَاةٍ وَعَدَاةٍ بِي فِي قُصَى نِسْرَةٍ مُشْكِيَّةٍ .

قَالَ حَوْلَ الْحَصْرِ . يَا سَيِّدِي ! ثُمَّ قَفَزَ بِي ظَهْرِي . وَهُوَ يَقُولُ . وَلَآن . يَا
بِيوتِي . رُبِّي قُدْرَتِكَ !

لَمْ تُكُنْ مُخْتَلِحًا بِي سَوْصَرٌ أَوْ مُهْمَرٌ . وَرَخْتُ أَعْدُو سَرِيعٌ تُكَدُّ لَا أَصَا
الْثَرَى . كَانَ الْخَوُّ مُشْبِعًا بِالنَّصِيعِ وَكَانَ تَقْمَرٌ مَاجِنًا . وَصَدَّ تَضَلُّقُ صُعُودِ
وَنُزُولِ مَسَافَةِ ثَمَانِيَةِ أُمِّي وَصَدَّ بَعْدَهُ بِي مَرِيرٌ نَضِيبٌ وَبِتُ فِي وَسْطِ الْبُنْدَةِ
الْمُحَاوِزَةِ .

دَقْتُ سَاعَةَ السَّاحَةِ ثَلَاثَ دَقَّاتٍ فِي الْمَحْطَةِ الَّتِي كَانَ حَوْلَ يَحْطُ فِيهَا تَوَاتُةً
مُزِيرَ الطَّيِّبِ . وَقَدْ وَفَّقَ الطَّيِّبُ عَلَى تَمْحِيءٍ مَعَ فَوْزٍ لَكِنْ خَوْدَهُ لَمْ يَكُنْ
يُضْلِحُ بِالرَّحْنَةِ فَوْقَ جَوْدِ عَمَى أَنْ تُحْبَسَ أَل . وَلَكِنْ كَانَ ذَيْكُ يَغْنِي لَّا أَنْ أُنَا
لِرَّاحَةِ الَّتِي كُنْتُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا .

لَمْ تُكُنْ رِخْنَةً أَعُودَةٍ لَضِيئَةٍ . فَقَدْ كَانَ الطَّيِّبُ ثَقُلَ وَرَأَى مِنْ حَوْلِ وَأَقْلَى
مَهْرَةً فِي الرُّكُوبِ . لَكِنِّي سَعَيْتُ جَهْدِي . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ الْمَرْزُ كُنْتُ مُتَهَكًا .
أَرْجَحْتُ وَتَضَبَّبْتُ غَرْقًا .



قَدِي لَيْلَ جَوِي لَيْسَ صَبْرُ. اُنْ وَثَقُ نَعْمَ نَعْمَ حَمْدَهُ. كَيْفَ لَمْ يَكُنْ يَعْطَهُ نَعْمَ
 لَا يَحْجُورُ اُنْ يَسْتَبِيحِي مَدَّةً بِرَدِّ. وَلَا اُنْ يَتْرُكُنِي دُونَ اُنْ يَضَعُ عَلَيَّ عَصَاً دَائِمَةً.
 وَعِنْدَهُ وَضَلْ حَوْلَ بَنِي ثَيْبٍ كَانْ خَسَدِي كَيْفَ يَتَوَلَّيْنِي وَكُنْتُ تَتَهَبُ خَرَزَةً.
 عَصَايَ حَوْلَ مِنْ فُتْرَةٍ شَرِبَ مَسْجِدًا وَعَصَايَ نَكُنْ نَعْمَ كُنْتُ فِي دَيْتِ تَوَقُّتِ
 وَدُنْ تَمَكَّنْتُ مَعِي وَلَمْ تَعُدْ مَعِي قُوِي عَلَيَّ شَتَسَ مِنْ غَيْرِ وَحَجَرٍ زَعَدِي حَوْلَ لَيْلًا
 وَنَهَارًا. وَكَانْ سَيِّدِي يَتَرَدَّدُ عَلَيَّ. وَدَتِ يَوْمَ قَدِي.

اَبْ خَوَاتِي تُمْشِكِينَ. يَا خَوَاتِي صَبْرُ. اُنْتُ تَقْدَتِ حَيَاةَ سَيِّدَتِكَ!

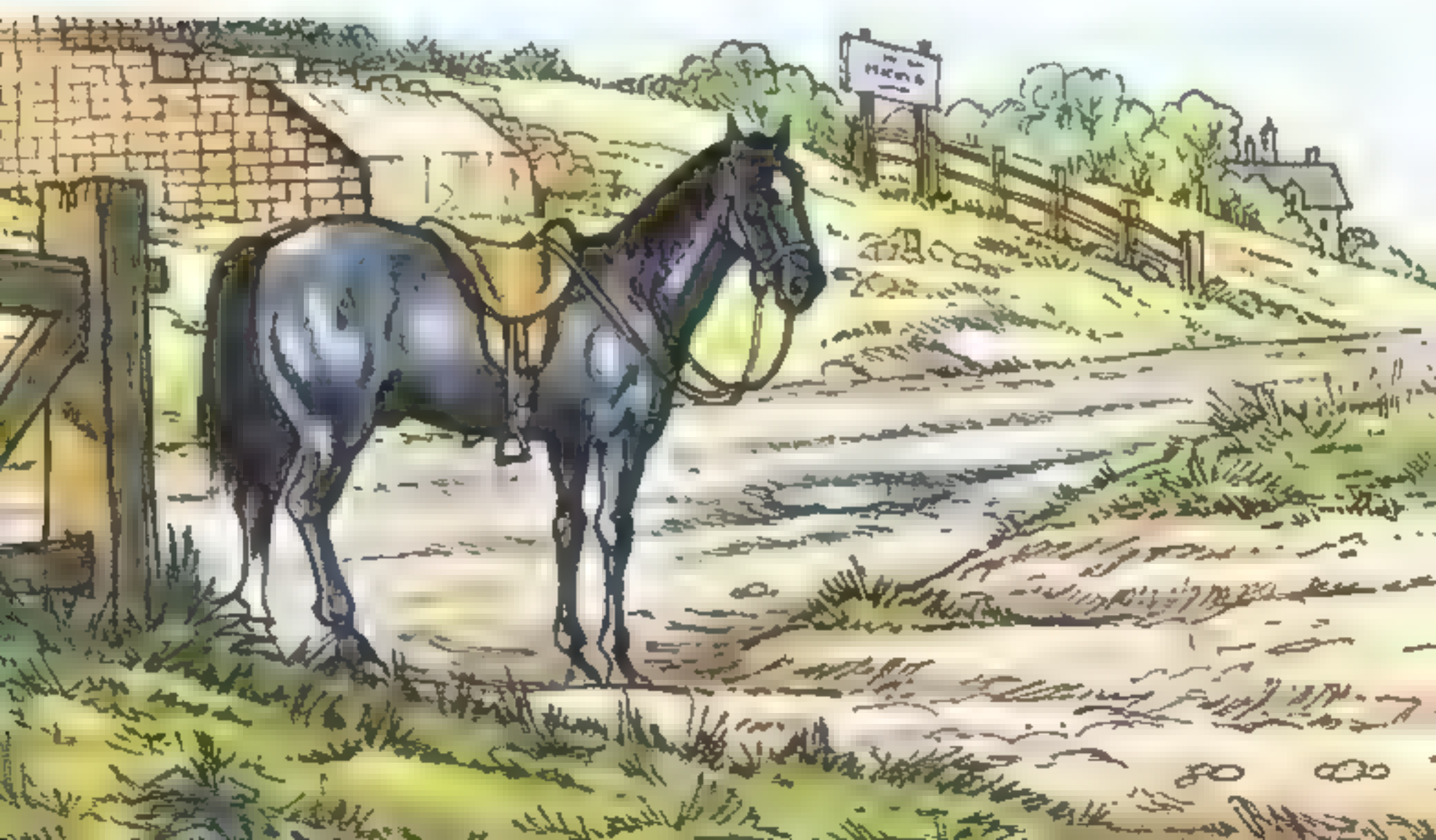


أَسْعَدَنِي جِدُّ نَيْتٍ نَكِيدَت. لَكِنَّ كُنْتُ ضَرِيقٌ بِنَفْسِي صَوِيَّةً. وَقَدْ خَلَّ بَيْنَ
 جَوْ كَدَرٍ شَدِيدٍ بَيْنَا كَانُ مِنْ حَيْثِيهِ. وَمَا تَسَبَّبَ بِهِ دَيْتُ نُحَيْلٍ مِنْ أَدَيْتِي. لَكِنَّ
 شُعُورَهُ دَالِكٌ كَانَ حَادِثٌ عَلَى الْفَعْدِ نَشَقٌّ وَاسْتَعْمَرَ الشَّرِيعَ. وَسُرَّعَانَ مَا أَصْبَحَ
 عَنْ حَقٍّ فَخُورًا بِنَفْسِهِ. وَتَثَقَّ ذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا انْتَقَى سَائِقُ عَرَبِيَّةٍ نَقَلَ بِصَرْبٍ خَوَادِيهِ
 بِالسُّوْطِ صَرْفٌ مُرَرَّحٌ وَأَلَهُ يَكُنِ الْخَوَادِنُ قَدِيزِينَ عَلَى حَرِّ الْعَرَبَةِ الْمُحْمَلَةِ
 بِالنَّجْدَةِ وَأَخْرَاجُهَا مِنْ الْخَصْرِ شَدِيدٍ لَدَى غَرَزَتْ فِيهِ.

إِحْتِجَّ لَيْلٌ حَوْ. دُونَ جَدْوَى. عَلَى قَسْوَةِ رُجُلٍ. بَلْ عَرَصَ أَنَّ يُسَاعِدَهُ فِي
 إِزَالَةِ نَعْصٍ لِحُسٍّ عَنْ لُغْرَةٍ بِشُخْطِيفٍ عَنْ نُحَوَادِيٍّ. فَمَا كَانَ مِنَ السَّائِقِ إِلَّا
 أَنْ قَالَ:

«لَا تَنْدَحْ فِي مَا لَا يَنْفَعُكَ. أَيُّهَا الْوَيْلُ لَوَعْدِ الْوَقْعِ!

تَرَكَ بَيْنَ حَوِّ الْعَرَبَةِ وَصَاحِبِهَا وَذَهَبَ إِلَى سَبِيلِنَا. وَكَانَ قَاضِيًا. وَشَكَ لَهُ
 الْأَمْرَ فَسُدَّ عَيْنِي سَائِقُ إِلَى الْمَحْكَمَةِ. وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِالْأَحْسَنِ شَهْرَيْنِ جَزَاءً
 لِإِسَاءَتِهِ مُعَمَّلَةً لِحَيَوَانٍ.





لَمَّا حَلَّ يَوْمَ الْفَرَقِ حَزَنًا أَلَّ وَحَنًا أَعْرَبَ إِلَى سَبِّ الْقَصْرِ لآخر مرة
وَحَمْدًا سَيَّارًا وَسَيِّدَتُنَا إِلَى مَحَبَّةِ الْقَصْرِ كَأَنَّ حَوْلَ مَدَنِي وَأَتْلَ حَوْلَ مَعْدٍ. وَكَأَنَّ
كِلَاهُمَا يُعَالِيَانِ الدَّمْعَ.



فَعَدُّ أُنْ عَشْتُ فِي قَصْرِ أَحَدَانِ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ سَعِيدَةٍ صَرَ عَلَى حَيَاةٍ تَعْيِيرُ
مُخَرَّنٍ فَقَدْ كَانَتْ سَيِّدَتُنَا كَثِيرَةً التَّوَعُّثُ. وَصَحَّ طَبِيبُ أُنْ تَنْقَلُ لِلْعَيْشِ فِي
بِلَادٍ دَفْنَةٍ سَتَيْشٍ وَثَلَاثَ سَاعَاتٍ وَكَانَ عَلَى سَيِّدَتُنَا أَنَّ يُسَافِرَ مَعَهَا وَقَدْ تَضَرَّرَ
أُنْ يُصَرِّفُ مُوَطَّنُو الْقَصْرِ. وَقَدْ بَحَثُ أَحَدَانِ. فَقَدْ تَقَرَّرَ أُنْ نَسَاجُ. إِلَّا مَرِيعُ. فَقَدْ
كَانَ مَحْظُوظًا إِذْ وَهَبَهُ سَيِّدَتُنَا إِلَى مُخَارِ أُنْدَهُ شَرِيعَ لَا يَسَاجُ أُنْ. وَكَأَنَّ أُنْ
وَحَنًا مِنْ نَصِيبِ صَدِيقٍ مِنْ أَصْدِقَاءِ سَيِّدَتُنَا وَقَدْ حَضَرَ سَيِّدَتُنَا أَنَّهُ سَعِيدٌ مَعَ
ذَلِكَ الصَّدِيقِ عَيْشَةً صَيِّبَةً.

في صبح يوم ثاني مضي حول مدني . . . وحتجر . إلى قصر سيده
تخدير الذي كان ينفذ نحو خمسة عشر ميلاً وكان قصر بديع . وأما
الاشطال فكان فسيح فضيحتي . وقد وضع في وحتجر في مضمين
متحدوذين . وحاء شيخ يورث . سريش تخدير . يستخلص

أوضح حول سريش أنه لم يستخذة معاً في مريد السابق العبد الرابع .
الذي كان يخبز الحود على إلقاء رأسه مرفوعاً وثمة يظن أن في صنع حنجر
بعض سرق سلب ما تعرضت له من أذى ذلك العبد في أوج حياته وقد شدد
حول على أن حنجر عصبية أخرج سريعة غضب وهي في ذلك تخفيف على
مرحاً . نكتا كبد حوادن يركن بينهما .

فإن شيخ يورث أنه سيغضي ملاحظته قدره من لاهتمام . لكن سيدته
لتخديره تعرض على أن ترى حيوب مرفوعة رأساً بدا . كذا يغضي رأي . ولا
صر لها على تخدير نتي شكك عن ذلك .

سرعان ما كشفت ما يسببه العبد الرابع من أوجاع . فإنه على الرغم من
رغبة سيده تقصير . فقد حسبت السيدة روجته لتدريس على أن يقصر العبد
كثيراً . كان عيب في يوم أن تضعد بعربة مرفوعة . ولما كان عيب أن يفتي رأسيها
طوب الوقت مرفوعة فشد وقع الحزن لأكثر من شد على صهرين وقويتم لا
على ما كذا .

فالت في حنجر ذلك النساء . أنت تعرف لأن ضعة هذا العبد . مع أن
السيدة لم تفس عيب . إذا لم يستحسن الأمر سائلاً بكثرة . فالتوه هذا يعاملون
أحسن معاملة . أما إذا بالغوا في شد فعل فتنم منهن ذلك ولن تسكت
عليه .



أَتَيْتُ حَتَّاجًا نَعْدُ يَوْمَ تَهْجُرُ كَيْمِيهَا فَقَدْ تَرَسَّ شَيْئًا يَوْمًا مِنْ تَقْصِيرِ
 نَفْسِي تَوْبًا خَوِيرًا لَمْ يَكُنْ. تَمَرْتُ يَوْمًا أَن يَقُولَهُ بِي مَثْرَبٌ بِحَدَى صَدِيقَتِي ثُمَّ
 قُلْتُ. نَعْدُ هَيْهَاتَ صَدَّتْ

لَا تَتَوَيَّ أَن تَحْفَلَ هَذِهِ نَحْوَدَيْسٍ يَرْفَعُ يَوْمًا رَأْسِيهَا. يَا يَوْمًا يَا رَفَعِ
 الرُّأْسَيْنِ حَلًّا. وَكُنِّي قَرَاءً



اَقْتَرَبَ يَوْمَكَ تَوَلَّا مَنِي . وَرَدَّ رَأْسِي بَنِي نُورٍ وَشَدَّ بُعْدَ شَدِّ مُحْكَم . يَكْذُ
لَا يُصَاقُ ثُمَّ مَنَى بَنِي حَجَرٍ نَتِي كَتَّ تَنْطَضُ رَأْسُهَا بِعَصِيَّةٍ كَتَّ تَعْرِفُ م
يَنْتَصِرُهَا .

فَجَاءَ شَبَبْتُ شَبَبُ عَظِيمَةٍ وَرَحَتْ تَرَفُّسٍ بِقَوَائِمِهَا رَفُّسٍ بِرَأْسِهَا . وَكَانَ أَنَّ
أَصَابَتِي إِحْدَى رَفْسَاتِهَا . ثُمَّ وَقَعْتُ رَأْسُهَا . فَزَلَمَتِي يَوْمَكَ فَوَقَّهَا يَتِمَّكَ مِنْ
تَحْكَمِهَا . وَتَمَرَّ فِي نَوَاقِ عَيْبِهَا أَنَّ يَحُلَّ قِيدِي . وَأَنَّ يُؤْتَى بِمَقْصُوعٍ يَقْطَعُ بِهِ
رَبَاطَ حَجَرٍ تُدِي بِشَدِّهَا بَنِي نُعْرَةٍ .

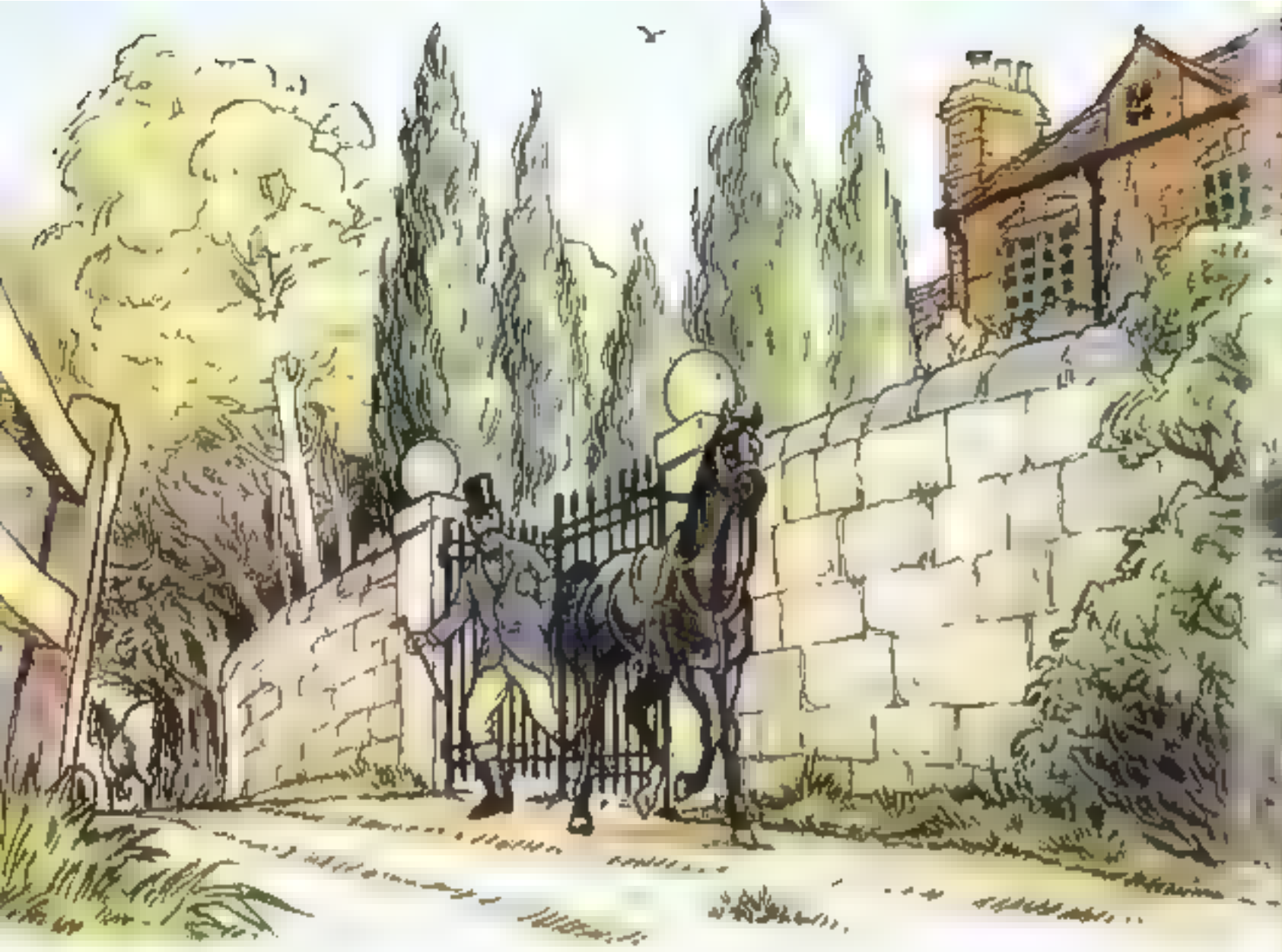
كَانَ عَلَى سَيِّدَتِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ تَلَاوَمَ الْبَيْتِ وَسَمِعْتُ يَوْمَكَ مَسَاءً .
وَقَدْ جَاءَ يَغْنِي بِي وَبِحَجَرٍ يُبْدِي نَقْمَتَهُ عَلَى نُعْدِ الرَّابِعِ وَبَعْدِ سَيِّدَةٍ
الْمَقْصُوعِ .

كَتَّ بَنِيكَ آخِرَ مَرَّةٍ تَجَرَّ فِيهَا حَجَرٌ عَرَبِيٌّ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ . فَعِنْدَمَا شَفِيتُ مِنْ
رُضُوضِهَا أُعْطِيتُ إِلَى بَنِي سَيِّدِ الْقَصْرِ الْأَصْغَرِ بِشَتْخَلْمِهَا فِي إِحْلَالِ صَيْدِهِ .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ وَاضْتُ حَرَّ نُعْرَةٍ . وَتَعَدَّسْتُ تَرْدَادَ يَوْمًا تَعْدَ يَوْمٍ . وَقَدْ حَادَّ بِي
شَرِيكُ حَدِيدٍ بِحَرٍّ مَعِي اسْمُهُ مَكْس . أَخْبَرَنِي مَكْسٌ عَنْ أَهْلِ الْمُدَّرِ وَمَا
يَتَصَوَّنُهُ فِي حَيَاتِ حَرِّ الْعَرَبَاتِ . قَوْلُ :

يَتَطَلَّبُ أَهْلُ الْمُدَّرِ فِي حَيَاتِهِمْ أَنَّ تَكُونَ عَالِيَةَ الرَّأْسِ . ذَلِكَ بِصِغَةِ
الْحِلِّ . يُؤْذِي الْحَيْدُ أَدَى بَيْعٍ . نَكَبُهُ يُنْشَطُ الشَّحَرَةُ . إِذَا شَرَعْنَا مَا تَهْنُ الْحَيْدُ
وَأَنْدَبُ بِهَا الْعَيْلُ . فَيُضْطَرُّ سَاسُ بَنِي اسْتِثْدَالِهَا بِسَوَاهِدِ .

أَحْسَسْتُ بِخُزْنٍ غَمِيقٍ . وَخُصُوصٍ نَتِي ثُمَّ أُنْجِسُ فِي يَوْمَكَ رَعْبَةً قَوِيَّةً فِي
مَسَا عِلْدَتِهَا .



كانت لري فور رائعة، لكنها عصبية متوقفة وكادت لفرس شفقته عند
 واحد من نزل القصر أثناء الكولوبيل ثلاثينيات ذلك يوم. كان على ثلاثينيات
 أن يقوم برحلة قصيرة فحطرت لآن في ذلك اليوم أن تركت هي ري وهكا.
 نادى نارسان فرسهم وكادت ري في راحة الذهاب بمثل الفرس الشبيهة
 المتطبعة لكن حدث أن توقف ثلاثينيات لحظة عند منزل طيب اللذة. فرطلي
 ودخل المنزل وصفت أن على فرسها لري في هذه الأشياء مزلت بعض الحبوب
 الحاحية وصلحت لري التي أزعجت المتدحاة. فقهرت بفرستها وشردت تحري
 سرعة وثقة وها كنت مرموق إلى عسود بكن أممي ما ففنة إلا أن أضهل
 صهنة حادة طبا للتحدة حرج الكولوبيل ثلاثينيات من فوره وما هي إلا لحصت
 حتى كنا مطلقين وراء الأبنية آن.



في أوائل أربعينيات سافر سبنا بقصر وسيدته إلى مقاهما في لندن وكنت
 دائما أن وحجرا، رئيس لشؤون كان لا يرا في بقصر لندن فما هاريت
 وأن وكادت أن فرسة رائعة سطوا حثرتي موكوب وشعشي نلاك أوشتر
 ولقد عصيت في ضحكها أوفد طيبه وكثيرا ما كان لرافتها حوها واحد من
 نساء عنها على حجرة أو لري

تَشَعَّتِ الصَّرِيقُ عَدَّ مَحُومِيلَ وَصَفَّ أَمِيلَ نَكَنَ سَبْدَةَ كَسَتْ تَقَفَ عَدَّ تَوَانِ
حَدِيقَتِهَا تُشَدَّتْ إِلَى الْإِنْحَادِ أَلَدِي سَلَكْتُهُ تُحَرِّسُ الْحَمَامَةُ

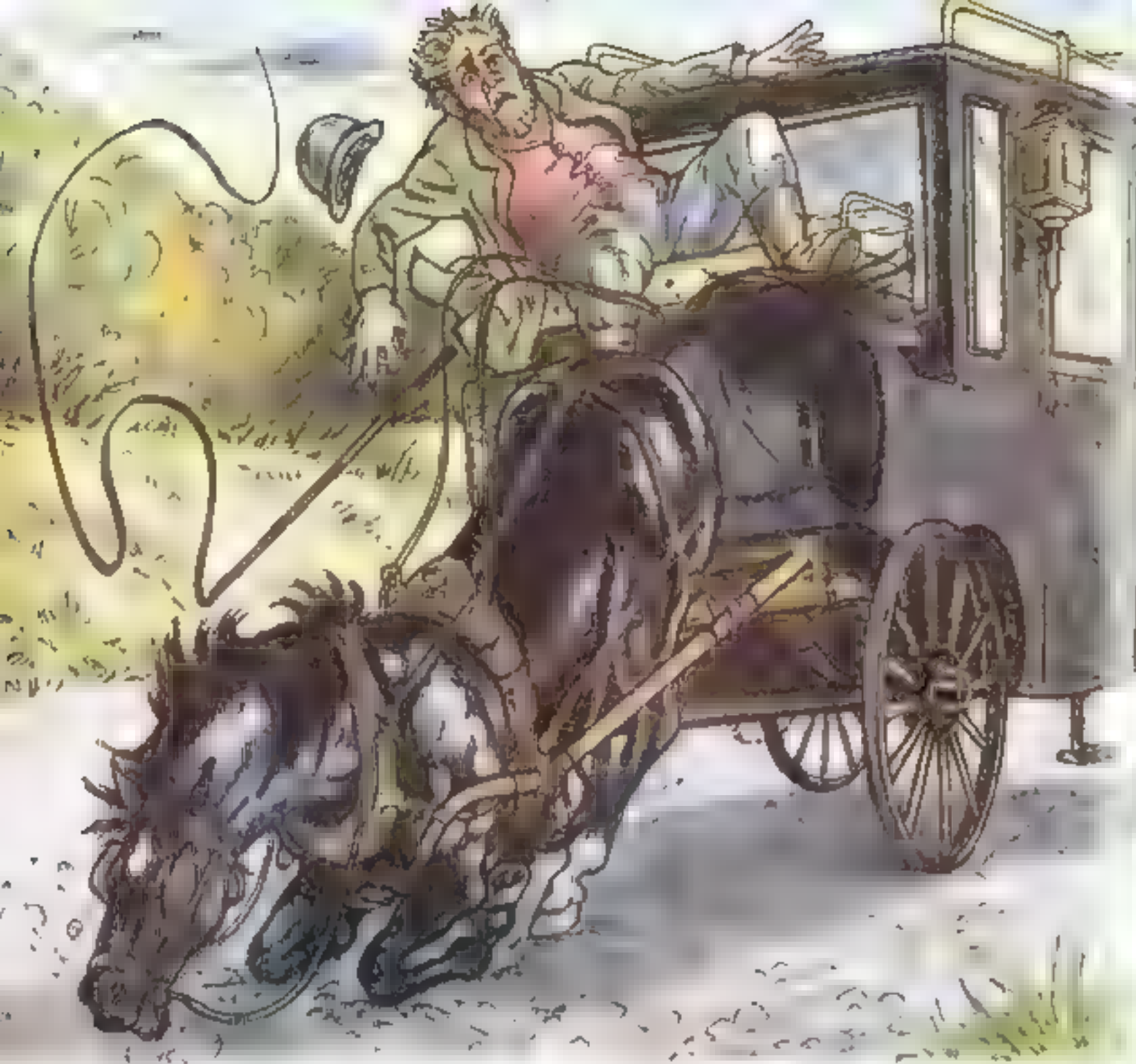
اسْتَسْرَتِ الْخَطَرُ دَعَا صَوِيلًا. كَسَتْ تُحَرِّسُ الْحَمَامَةُ فِي أَثْنَائِهَا تَدُو لَهَا فَمَّ تَعُوذُ
فَتَحْتَلِي أَحِيرًا رُبَاهَا تَقْفَرُ قَفْرَةً وَاسِعَةً وَتَتَعَزَّرُ. وَرَأَيْتُ سَيْدَتِي السُّسْكِيَّةَ تَقْلُبُ
عَنْ مَطْنِهَا وَقَعَتْ بَيْنَ لَبَدَاتِ سَاكِبَةٍ لَا تَقْوَى عَلَى الْحَرَكَ. وَكَانَ فِي الْحَوَارِ
رُحُلَانِ، فَاسْتَرْعَ أَحَدُهُمَا يُعْسِكُ يَلْزِي، أَمَّا الْآخَرُ فَقَدْ أَرْسَلَهُ الْكُولُونِيْلُ بِلَاثَاتِيرِ
عَلَى مَشْنَى طَبَا لِنُغُونِ.

وَصَلْتُ الْفَقِيرَ، فَوَضَعْتُ فِي مَقْسِي. وَأَسْرَعَ أَحْوَالُ الْإِنْسَةِ أَنْ إِلَى جَنْحِرِ قَسْدُ
عَنْهَا الشَّرْحُ وَمَصَى بِهَا سُرْمَةً كَسْرَةً. وَحَنَحَرُ هِيَ الَّتِي أُخْبِرْتَنِي فِيمَا بَعْدُ أَنَّ
لَأَسَهُ أَنْ نَمَّ نَمْتُ

فِي الْيَوْمِ لَتَنِي رَارَنِي نِكُولُونِ بِلَاثَاتِيرِ. فَزَيْتَ جَسَدِي وَكَانَ لِي الْمَدِيحُ لِمَا
أَسْهَمْتُ بِهِ فِي بِنَادِ حَيَاةِ الْإِنْسَةِ أَنْ. وَقَالَ:

«حَقُّهَا أَلَا تَرَكُ حَصَا سَوَا» وَقَدْ سَرَنِي أَنَّهُ كَسَتْ فِي طَرِيقِهَا بِى
الشِّفَاءَ وَتَطَلَّعْتُ إِلَى أَبَامِ سَعِيدَةٍ أُخْرَى مَعَهَا.





لكن سعدني أنه يكن مقدر لها أن تطول. فقد كان كبير الشواس، على الرغم من مهارته وخبرته، قليل العناية بالخيول. وقد أهملني إهمالاً شديداً أدى في نهاية الأمر إلى سوء مظهري ووهن جسدي.

دات يوم أوصلت الكولونيل بلانثاير إلى محطة القطار، وأخذت إلى خان قريب في انتظار كبير الشواس. كان في قلبي مشاعر متحيرة. كن الناس في الخان لم يتنبه لذلك. ثم وصل كبير الشواس، بعد نصف صوب، وبه لذلك المشمار، غير أنه لم يفعل شأنه شي. ولم يسمح للناس الخان أن يضلحه. ووجدت تصرفه غريباً مستهجن.

ولما كان قد تأخر في الوصول إليّ فقد رحب بمتحفي على الإسراع. ومضى بي في أرض وعرة وممرات خطيرة. كانت قلبي تؤلمني وأحدثت في حربي أغرش فقد رعت الشجور بغي ومرت قلبي وأخيراً وقعت على ركني وفوقاً شديداً. وسقط كبير الشواس على الطريق سقطة عظيمة كثر اتوقع أنه الوجع وتناؤه. فما هو فكان غير بعيد عني هذا

أخيراً جاء سائس من شواس القصر يبحثان عني. عرفت خطوات جنح فسهلت صهنة عالية. وقد وجد السائس كبير الشواس ميتاً. وعندما رأيا قلبي وحراج كسي فهم ما حدث

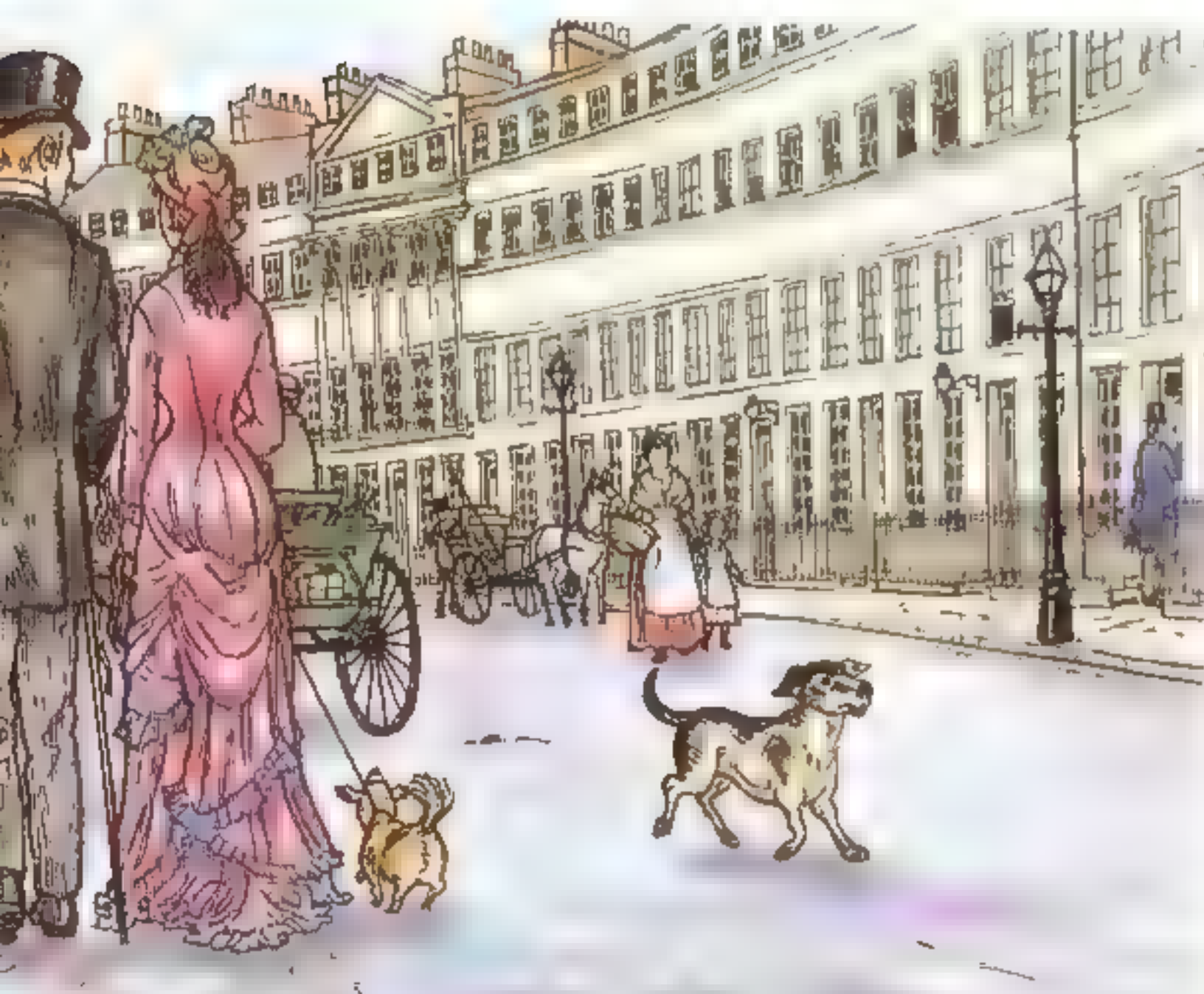
قال أحد السائسين «لا يفعل أسوأ عاقلاً ما فعله كبير الشواس. إنه كان النمرس لا يعل فيسير فوق أسهل عليه من السير فوق هذه الصحور.» أخذت إلى الممرن، وعويحت إلى أن تحسنت حالي ثم تركت في مرعى لأعطي تعافي تاماً

دَت يَوْم رَارِي فِي سُورِي سَبْدُ الْقَصْرِ، وَقَدْ خَرَبَهُ وَحَنَ بِحُودِي صَلَاحَهُ
 الْقَصْرِ وَرَأَى أَنَّ حَيَّي مُرَرَهُ لَقَرَرُ أَنَّ سَعِي
 أَمَّا حَنَرُ فَرَأَى أَنَّ يُبْقِيَهَا عِنْدَهُ سَنَةً أُخْرَى لَعَلَّ الرِّاحَةَ تَنْقَعُهَا فَتَعُودَ إِلَى حَالِهَا
 الْأُولَى.



فَكَدَّ تَنْقَضَتْ بِي مَكْنَةُ رِجْلِي فِي سَنَةٍ مُجَوَّرَةٍ وَكَانَ سَيِّدِي مُجَدِّدُ مَسْتَقَاتِ
 حَادَا كَثِيرَةٍ وَعَرَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ يُؤَخِّرُهَا. كَسَتْ تِلْكَ الْعَرَبَاتُ بِقُوذِهَا رِحَالَهُ خِيَابًا،
 وَأَخِيَاءَ أُخْرَى كَانُوا بِقُوذِهَا يُؤَلِّقُونَ تَلَابِيحَ يَشْتَأْخِرُونَ مِنْ رِجَالٍ وَسَيَّارٍ وَعَمَى
 الرِّغَمِ مِنْ أَنَّ مَسَدًا كَانَ يُخْصِي لَعْنَةً بَاءً، فَمِنْ حِينَمَا كَانَتْ شَاقَّةً وَكُثِيرُونَ
 مَسَرُّو كَمَا يَشْتَأْخِرُونَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَعْرِفَةُ شُؤْنِ لُحْيَادٍ. وَكَانُوا يُهَسِّبُونَ
 الْإِفْصَالَ كَمَنْ

وَمَنْ إِخْدَى أَمْرًا رَتَبِي أَحَدَ الرِّجَالِ أَخْرَجَ فَصَّ أَيْ لِكَمَلٍ أَوْ لُحْدَتٍ لَمْ
 يَكُنْ يَقْلِبُهُ أَنَّ حِصَاةَ نَعْرَتِهِ فِي حَاوِي. فَرَاحَ بِقُوذِي. عَدَدِي، يَنْقُشُهُ رَعْدَةً
 وَمِنْ مَزَّةٍ أُخْرَى أَصْبَحَ الْحَصَنُ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ مَعِيَ الْعَرَبَةُ بِخُرُوجِ سَيْحٍ فِي
 صَدْرِهِ، إِذْ أُلْدِفَ نَحْوُهُ سَائِقٌ غَرَّ بِعَزَّتِهِ أَنِّي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يُؤَقِّفُهَا



تَمَّ تَقْلَتَ بَنِي يَدِ مَبِثْ خَدِيدِ . فَصَنَّتْ لَنْ خَطِي قَدْ تَغْيِرَ . كَلَّ تَخَذَ رَحَانِ
 قَدْ سَدَدَ لَنْ يَسْتَحْزِي مِنْ مَلَكِي تَغْيِرَ . فَصَحَّ وَحَدَّ مِنْ أَصْحَابِهِ شَمَّةُ
 تَشِيدَ بَرِي . لَنْ يَغْرَضَ عَلَى سَيَّاتِي شَرِي . فَتَدَّ حَرِي وَزَيَّ تِي جَوْدَ صَيْغِ
 مَأْمُونِ تَرْكُوبِ . وَهُوَ مَ يَخْتَلِجُ تَشِيدَ بَرِي تَدِي كَلَّ لَأَصَدَّ قَدْ صَحْوَهُ
 مُمَارَسَةُ هَذِهِ نَوْعٍ مِنْ شَدَاضِ .



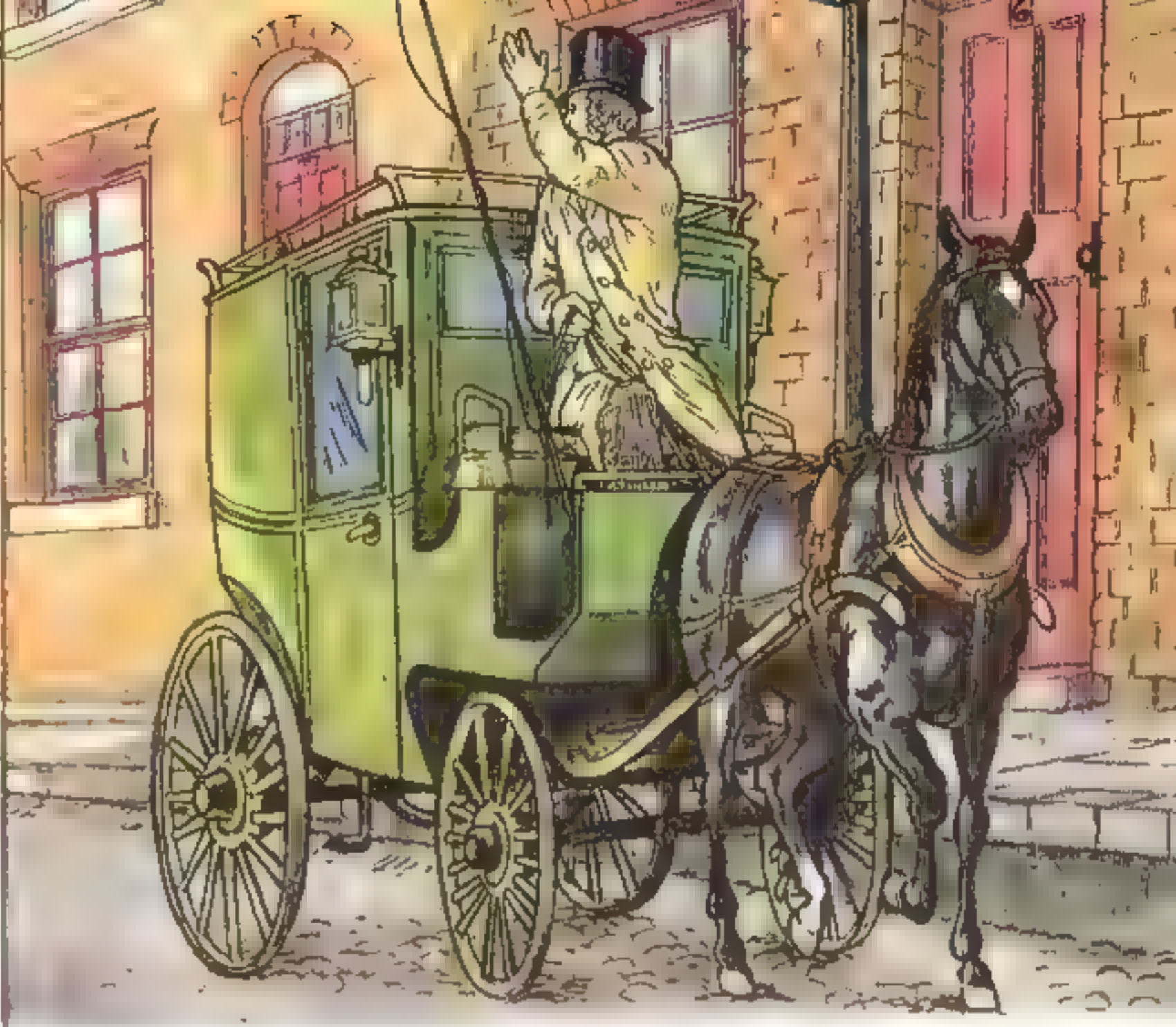
كَانَ السَّيِّدُ بَارِي رَجُلٌ عَمَلٌ. وَعَنِ الرَّعْمِ مِنْ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ بِالْحَيْلِ كَانَتْ
يَسِيرَةً. فَإِنَّهُ نَذَرَ حَتْمَهُ يُعْطِي بِي الْعِدَاةِ الْخَسَنَةِ. وَقَدْ سَتَّحَرَ بِسُطْبُلَا قَرِيبٍ مِنْ
مَنْزِلِهِ وَعَيْنَ لِي سَائِسٌ وَسَمِعْتُهُ يُعْطِي عَقِيدَتَهُ مُسَدِّدًا عَنِّي عِدَّةً كَمَا لِي.
وَتَصَنَعْتُ إِلَى وَحْدَتِ شَهِيَّةٍ وَافِرَةٍ

سَارَ كُلُّ شَيْءٍ فِي بَدِيَةِ الْأَمْرِ سَيْرٌ خَسَنٌ. ثُمَّ نَدَّاتُ مُتَقَدِّدٌ فِي غِذَائِي
السُّوْفَانِ. بَعْدَ شَهْرَيْنِ كَانَتْ قُوَّتِي قَدْ وَهِنَتْ كَثِيرًا. وَكَذَلِكَ عَثَوَانِي

لَمْ يَنْهَهُ سَيِّدِي بِرَأْسِ ذِيكَ. إِلَى أَنْ رَأَى وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَالِي وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ
أَنْ يَدْفُقَ فِي نَوَى الْعِدَاءِ الَّذِي كَانَتْهُ وَكَانَ أَنْ يَكْتَشِفَ أَنَّ السَّائِسَ بِشَرْقِ
شَوْفَانِي وَيَأْخُذَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ تَسْمَى بِهِ لَدَحَاجٍ وَلَأَرَابٍ لَّتِي يُعْدَانِيهَا الْبُلْبُعُ.
فَهَمْتُ فِيمَا بَعْدَ أَنْ الرَّجُلُ قَدْ اخْتَبَلَ وَخَسَّ بِسِتَّةِ شَهْرٍ.

لَمْ يَكُنِ السَّائِسُ لَدِي خَلًّا مَخْلًا لِأَوَّلِ الْخَسَّ حَالًا فَقَدْ كَانَ كَسُولًا لَا
يُحَافِظُ عَلَى نِصَافَةٍ مُقْسَمِي. وَعَدَّتْ الْأَرْضُ نَحْتًا لُصْفَةً الْعَلْبِ مِنَ الْقَشْرِ وَبِسَخَةِ
تَمُوحٍ مِنْهَا زَوْنُجٌ كَرِيهَةٌ. وَدَعَى السَّائِسُ أَنَّ بَيْتَ زَوْنُجٍ مُصَارِفٍ الْمِيدِ
لَوْ بَسَخَةٍ. وَكَانَ يُضِدُّ كُفْسٌ مِنْ أَنَّ يَشْطُطِي وَيُخْرِجُ بِي مِنَ الْإِسْطَبِلِ عِنْدَهُ
يَكُونُ سَيِّدِي مَشْعُولًا فَسَدَّتْ صَخْنِي وَرَحْتُ كُفُو فِي حَرْبِي وَتَعَثَّرْتُ. وَأَخَذَنِي
السَّيِّدُ بَارِي إِلَى بَيْطَارٍ. وَتَبَيَّنَ أَنَّ قَدْرَةَ الْإِسْطَبِلِ قَدْ قَسَدَتْ قَدَمِي.

نَظَفَ الْبَيْطَارُ قَدَمِي وَعَالَجَنِي بِمَحْدُونٍ قَوِيٍّ. وَفَرَكْتُ مُقْسَمِي مِنَ الْإِسْطَبِلِ
فَرَكًا. وَلَكِنْ سَيِّدِي كَانَ قَدْ قَرَفَ مِنْ مُعَامَلَةِ السَّائِسِ الْعَشَّاشِ وَقَرَّرَ أَنْ لَا يَقْشِي
خَوَادًا



سُرْعَانِ مَا اكْتَسَفَتْ أَنَّ أَشْرَةَ سَيِّدِي حَسْبَهُ عُشْرَةٌ لَا يَضَعُ حَوَادُّهُ أَنْ يَكُونَ
فِي أَشْرِهِ أَصْفٍ مِنْهَا. كَانَ سَيِّدِي مَدَانًا مُنْتَارًا يَعْرِفُ مُتَطَلِّبَاتِ حَوَادِّهِ. فَلَمْ
يُزَكِّسْني أَمَّا دُونَ مَا أَوْ طَعَمَهُ بِكَفِينِي. وَكَانَ يُرِيحُنِي فِي يَوْمِ الْعُطْلَةِ الْأُسْبُوعِيَّةِ
بَعْدَ عَمَلٍ لَعَلَّ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ. وَسُرْعَانِ مَا تَعَوَّدْتُ عَلَى صَجِيجِ اسْتَدِينَةِ
وَصَحْبِهِ وَاشْتَعَلْتُ بِحَذِّ عَظِيمٍ وَبَدَأْتُ دَائِمًا جَهْدِي وَلَمْ يَكُنْ سَيِّدِي يُعَرِّضُنِي
لِلْمَحَاطَرِ أَوْ يُبَالِغُ فِي إِزْهَاقِي. حَتَّى وَفِي لَقَاءِ آخِرِ بَصَافِي كَانَ إِذَا رَأَى مَدَانًا
يَضْرِبُ حَوَادُّهُ تُزْهِقُ بِسَبَابَةِ لَحْنِهِ عَلَى الْإِسْرَاعِ. يَقُولُ

أَلَا يَا حَكَّ. تُفَرِّسُ لَا يُزَرُّ هَذِهِ التَّعَمُّدَةُ أَلَا تَرَى ذَلِكَ. هُوَ حَوْدِي
الْمَحْجُورُ وَكَانَ سَيِّدِي قَدْ أَتَمَّامِي حَلْكَ. تَيْفٌ بِشَمِّ الْحَوَادِّ تَسْقُ لَدِي كَاتِ
الْأَشْرَةَ شَدِيدَةً التَّعَلُّقُ بِهِ.

أُحَدِّثُ بِسُوقِ حُجَيْدٍ وَرَأَيْتُ هُنَاكَ حَبِيدَ مِنْ كُلِّ سِرٍّ وَنُورٍ فَهِيَ مَا
كَانَ فِي أَوَّلِ قُتُوبِهِ. وَمِنْهَا مَا كَانَ لَعَلَّ شَقَّ قَدْ هَدَمَهُ هَدَّ كَأَنَّ لَا رَغْبَةَ لَهُ فِي
حُجَاةٍ وَرَأَيْتُ أَيْضًا مِنْ سُورِيٍّ قُصَاةٍ وَكُنْتُ مَخْطُوطٌ بِدِ اسْتِرَاسِي صَاحِبِ
عَرَّةٍ تُحَرِّقُ لَطِيفَ عَطُوفٍ يَعِشُ فِي مَدِينَةِ كَبِيرَةٍ

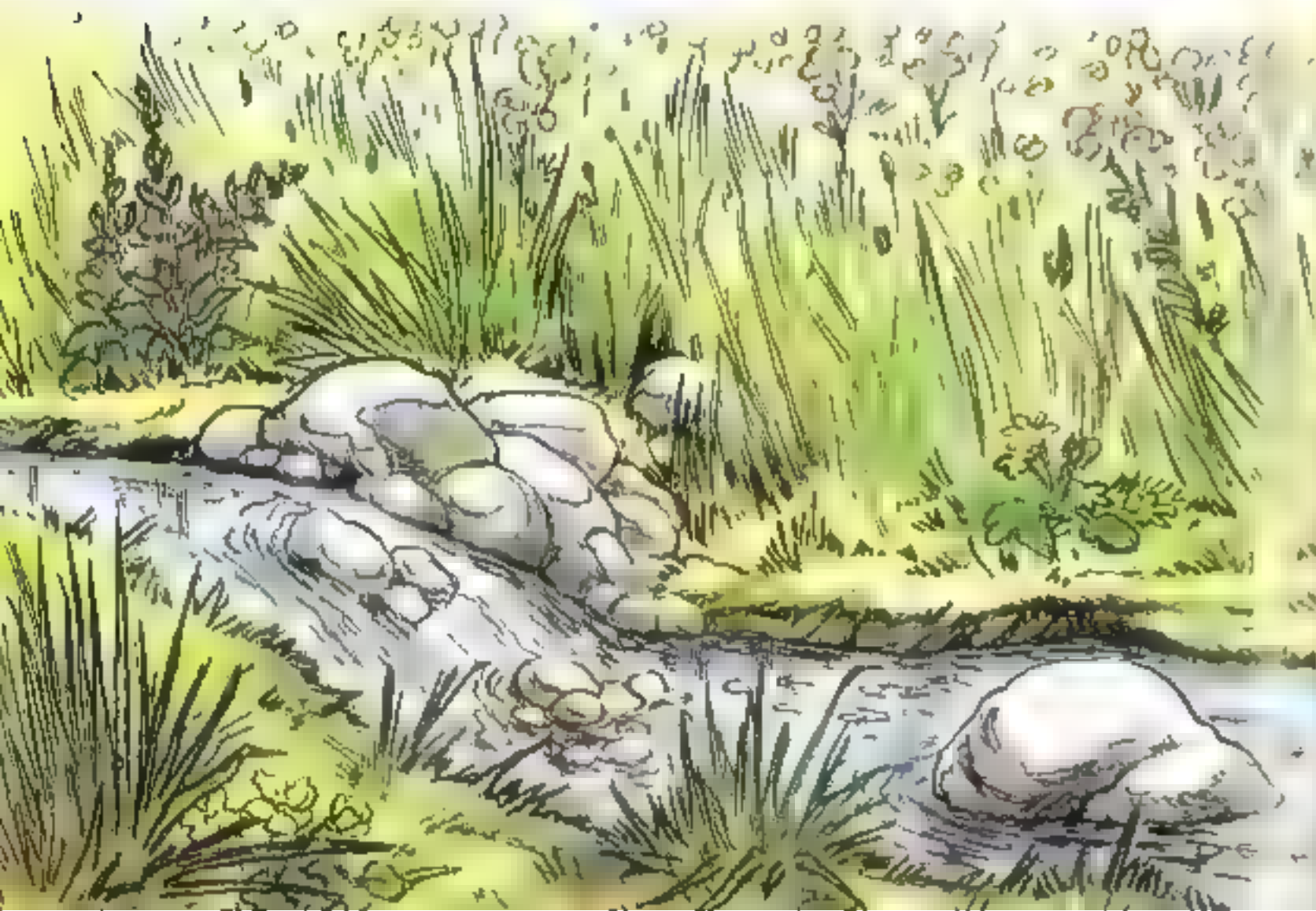
قَدَدِي سَيِّدِي حُجَيْدًا مِنْ سُوقِ الْحَبْلِ إِلَى مَدِينَتِهِ وَوَصَعِي فِي إِسْطِصَالٍ مُقَالٍ
عَدَدٍ مِنْ تَمَارِلٍ صَغِيرَةٍ الَّتِي يَعِشُ فِيهَا أَصْحَابُ عَرَبَاتٍ وَحَرَحَتْ رَوْحَهُ
سَيِّدِي وَائْتَهُ وَتَنَّهُ لَأَسْتَفَانَا

لَمْ نَحْدَفْ سِيَدِنَا الْعَادَةَ أَنْتَى نَعْمَ أَنْ يُرِيحَنِي فِي يَوْمِ انْقِصَابِ الْأَسْوَعَةِ إِلَّا
مَرَّةً وَاحِدَةً دَاتِ يَوْمِ حَاءَتْ رُوحَتَهُ نَحْرِي بِى الْإِسْطِطْلُ حَيْثُ كَانَ يَغْسِي بِي
وَقَالَتْ

«إِنْ رَسُولًا حَاءَ بِنَعْ حَرَّتْنَا أَنْ أَتَاهَا عَلَى فَرَّاشِ الْمَوْتِ. وَأَنْ عَشَبَ أَنْ
نَمُتْ حَلَا إِذَا كَانَ هَذَا أَنْ نَرَى أَقْمَ حَيَّةً»

لَمْ يَكُنْ مِنْ وَسِيلَةِ عَيْرِ الْخَيْلِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَثَرِ تَتَا الشَّبَلَةِ فَانْقَصَرَ يَصُلُ
إِلَى مُحَقَّةٍ تَعْدُ عَنْ مَرَبِهَا مُيَالًا وَهَكَذَا مَضَيْنَا إِلَى ذَلِكَ سَرَلٍ لَرَبِي فِي يَوْمِ
مُشْرِقِ بَدَعٍ مِنْ تَمَامِ الرُّبْعِ وَكَانَ عَيْنِي نَعْدُ ذَلِكَ أَنْ أَنْصَرِفَ فِي مَرَجٍ مُحْدَرٍ
نَسْتَرِ

رُخْتُ فِي سِتِّ سَرَبَةٍ نَعْدُ زُرْمِي لُغْسَتْ وَتَقَلَّبُ عَلَى الْأَرْضِ وَآخَرِي،
بِنَمَا شَعَلْ مَسْنِي نَقُصِفْ لَأَهْرَ يَنْتَهِيهَا إِلَى رُوحَتِهِ كَانَ ذَلِكَ يَوْمًا عَظِيمًا فَأَنِّي
لَمْ أَكُنْ هَذَا سَرُخْتُ فِي سَرَبَةٍ مُنَادٍ وَمِنْ عَيْدٍ كُنْتُ يَوْمَهَا شَعْدَ لُحْبِدٍ



كَانَ نُشْتَاءُ ثَنَانِي قَبِيلًا عَلَى حَيْدٍ عَرَبَاتٍ لَأُخْرَقَ. فَتَنَدَّ ضِلٌّ نُصُفُشٍ اُنْقَادِشِ
 أَسْبَعُ يَنْقُشُ بَيْنَ ثَوْرٍ تَسْفُطُ وَمَضٍ وَرِيحٍ عَصِيَّةٍ وَصَتِيْعٍ وَهْ يَكُنْ يَحْتَبُشُ
 غُصْبُهُ يَنْحِيْشُ مَرِيْعَةً بِنْدَاءٍ لَا قِيَّةَ مِنْ سَوَاقِي اُنْعَرَاتِ. ثُمَّ لَأَغُصْبُهُ لُعَادِيَّةٌ فَلَمْ تَكُنْ
 تَشْنَعُ شَلٍّ وَلَا تَقِي مِنْ بُرْدٍ. وَكَانَ غُصْبُ سَوَاقِي مِنْ ثَمَرٍ رَحِيْثٍ كَانَ عَلَيْهِ
 أَنْ يَغْمُزَ صَوْنٌ شَهْرٍ وَجَدِيٍّ مِنْ نَيْلٍ يَخْصُصُو مَعِيْشَتَهُمْ نَعْدًا أَنْ يَدْفَعُو
 لِأَصْحَابِ مَخْطَاطٍ ثَنِي يَغْمُزُونَ مِنْهُ اُجْرَتَهُمْ. وَكَانَتْ حَيْدٌ هَؤُلَاءِ اَسْوَاقِيْنَ
 وَاهِيَةً مِمَّا يُصِيْبُهَا مِنْ رَهَقٍ. ثُمَّ أُرْفَكْتُ مَخْصُوصًا بِذَلِكَ صَدِجِي يَغِيْدُنِي
 دَائِمًا بِأَيِّ اَلْإِشْطِصِلِ عَذِّ عَمَلٍ شَهْرٍ. وَأَوْ حَبِيْبٌ مِثْلِي.

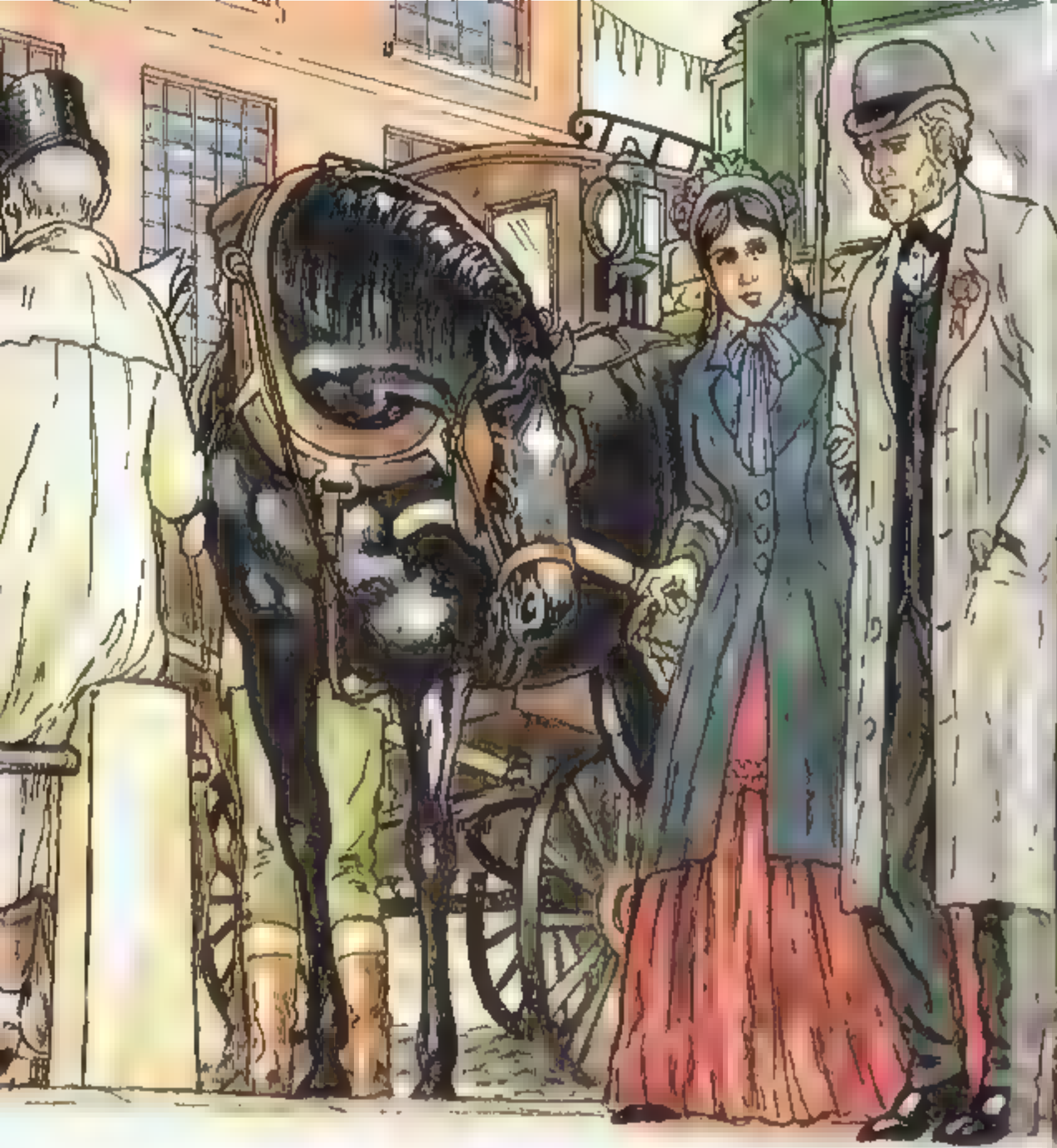
بَيْنَمَا كُنَّا دُونَ يَوْمٍ سَتَّظِرُ حَرِيْحٌ أَجْدُ مُشْرَهَاتٍ. وَكَانَ يَسْتَتَّظِرُ مَعَنَا الْكَثِيرُ مِنْ
 اُنْعَرَاتِ. وَصَلْتُ عَرَبَةً قَدِيْمَةً كَرِيْحَةً وَتَوَقَّعْتُ بِأَيِّ حَبِيْبٍ عَرِيْبَةٍ كَانَ يَخْرُجُ تِلْكَ
 اَلْعَرَبَةُ فَرَسٌ كَسْبَدِيَّةٌ مَلُونٌ. هَزِيْبَةٌ وَاهِيَةٌ بِرَبْرَةٍ مُعْضَمٍ.

عَرَفْتُ مِنْ فَوْرِي تِلْكَ اَلْفَرَسَ خَعِيْسَةً عَلَى رُغْمٍ مِنْ مَضْهَرٍ هَائِلٍ. فَتَنَدَّ
 كُنْتُ صَدِيقَتِي اَلْقَدِيْمَةَ حَنْجَرَ اَلْبَيْعِ. أَنْ لَمْ تَخْذَلْ قَبِيْلًا. وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّ حَضْرَةَ
 اَلْعَازِ اَوَّصَهَا بِأَيِّ مَرَاهِي عَدِيْبَةٍ نَعْدًا أَنْ تَنْشُئَ مَرَرًا بِأَيِّ مَرَكَبِيْنِ لَمْ يَخْصِيْ
 وَاحِدٌ مِنْهُمَا رِعْدِيْنَهَا. وَقَدْ تَلَّهَا نَاتٌ تَنْسِيْ اَلْمَوْتَ لِأَنَّ فِيْهِ حَلَاضًا لَهَا مِنْ
 اَلْأَمِيْنِ. اَلْحَسْبُ بَخْرٍ رَافِعٍ. كُنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ بَدَنِي حَبِيَّةٌ تُخَفِّفُ عَنْهُ.

تَنْشُئُ بَيًّا. إِذَا أَمْرُهُ سَابَقَهَا بِشَخْرُؤٍ. وَقَدْ تَلَّهَا اَلْعُرْفُ فِي حَيَاتِي صَدِيقٌ
 غَيْرُهَا

رَأَيْتُ نَعْدًا وَقَدْ فَصِرَ عَرَبَةٌ تَحْمِلُ خَوَادَّ مَيْدٍ. قُلْتُ فِي نَفْسِي لَعَنَ دَعْوَةَ
 جَنْجَرَ قَدِ اِسْتَجِيْبَتْ.





وهكذا مضت تلك المرأة المسكينة ووطنها في طريق حدثت امرأة سيدي
عن ابنها، وعرفنا أن عمر الطفل أربع سنوات بكفة لا يقدر على المشي، وأنه
يتوجع، وأن الطبيب أكد لها أن في المستشفى علاجاً شديداً، أحسست سعادة
كبيرة. وعندما تركنا السيدة سمعناها تقول: «خفطك الله، يا سيدي»

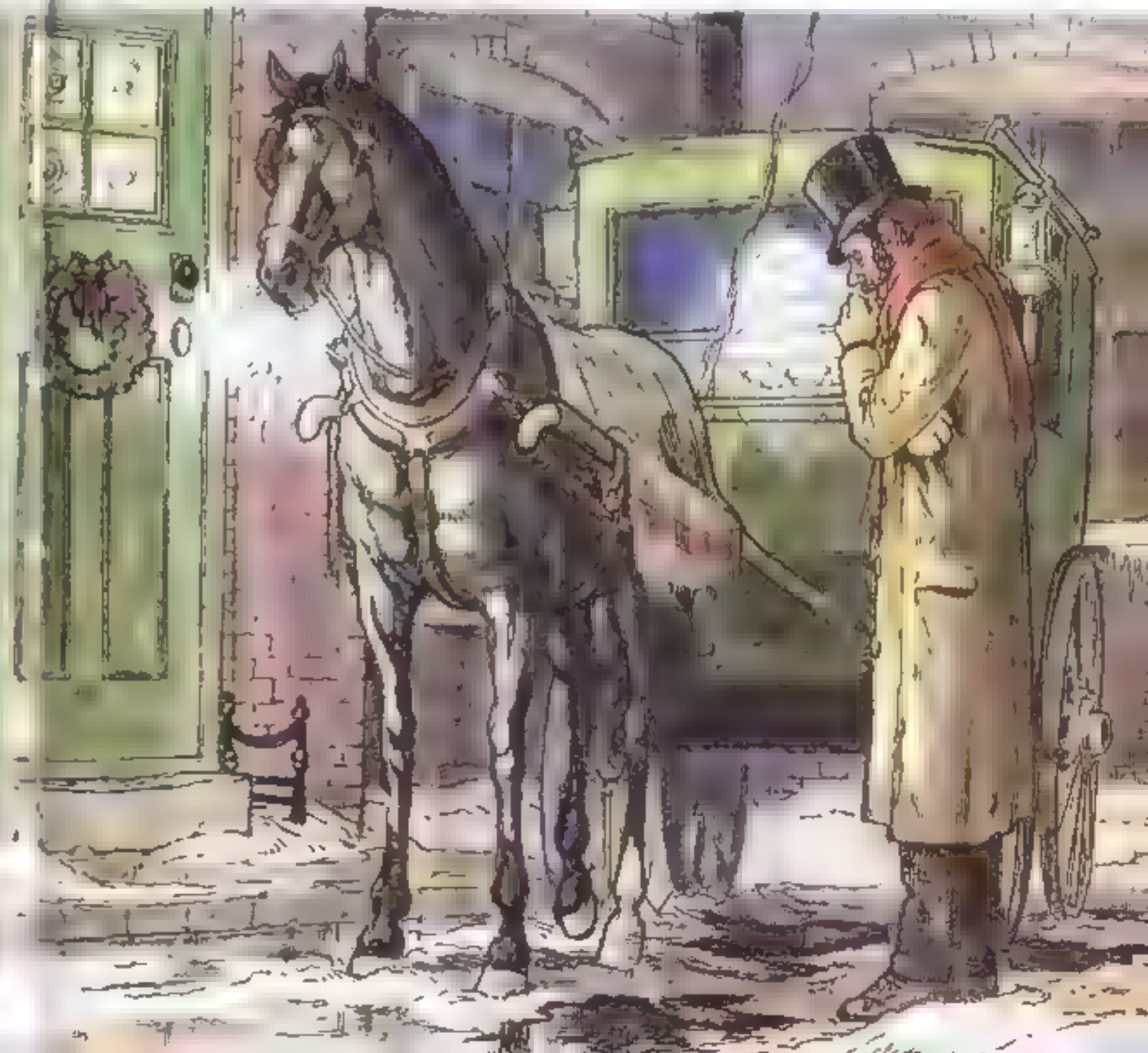


شئت علينا نعمل في ذلك الشتاء. ومع ذلك لم يكن سيدي تترك فرصه
لمساعدة الناس حتى ولو على حساب عمله. ذلك يوم سألت امرأة بائسة نَحْمِلُ
صفاً أن يذهب على طريق المستشفى كان طفل المريض ينكي فشرح سيدي
بقرص عيها أن يوصفها إلى المستشفى دون آخر

في صديق العودة نفس صاحبي سيده كانت تعرفه وتعرف سدي في الطريق
قلت له «أراك متعباً» هذا العمل الشاق لم يعد يسلك في هذه المساء إذا
شئت عملاً فريح وبني أعرف أماكن كثيرة يختص فيها إلى من هو في مثل
أمسك وحزرتك

ثم يكن سيدي يغم أنه سيكون في وقت قريب محتاجاً إلى ما عرضته عليه
لنت استيئة من مساعدة. فقد اضطررنا في ليلة من ليالي الأعياد إلى الشهور حتى
ساعات الصباح في انتظار بعض السادة الذين كانوا يحتفلون بالعيد. كنت قد
وقفت في الثلج طويلاً حتى اتخذت قوائم. وراح سيدي يشغل سعاداً متواصلاً.

ولم يعد يقوى على الكلام وعلى الرجوع من مرصه نذاع فقد حرص على أن
يعني بي الاعتناء بالآرام قبل أن يؤولي هو إلى ورشه ندي حطرت بي فلامته أياً ما
في هذه الأشياء فم لولدان بالعباية بي لكن. وبينما كان سيدي في صرعه إلى
التعافي. أحدث الأسرة تفكر بالعرض الذي قدمته ننت سيده وقد رأت أن
حياة الزحف لهذا ساعد على استعداده سيدي عافيته كدنة وتؤمن الأسرة حياة
هائلة أحسنت يعني ينزل فسدي لا يختص بي في عمله الجديد في الربيع.
وكان لا نذ أن أربع مئة أخرى عملت مع سيدي ذلك ثلاث سنوات عملاً حاد.
وعلى الرجوع من العبابة أنني نقيتها. فقد ضعفت ننت سبور حساني

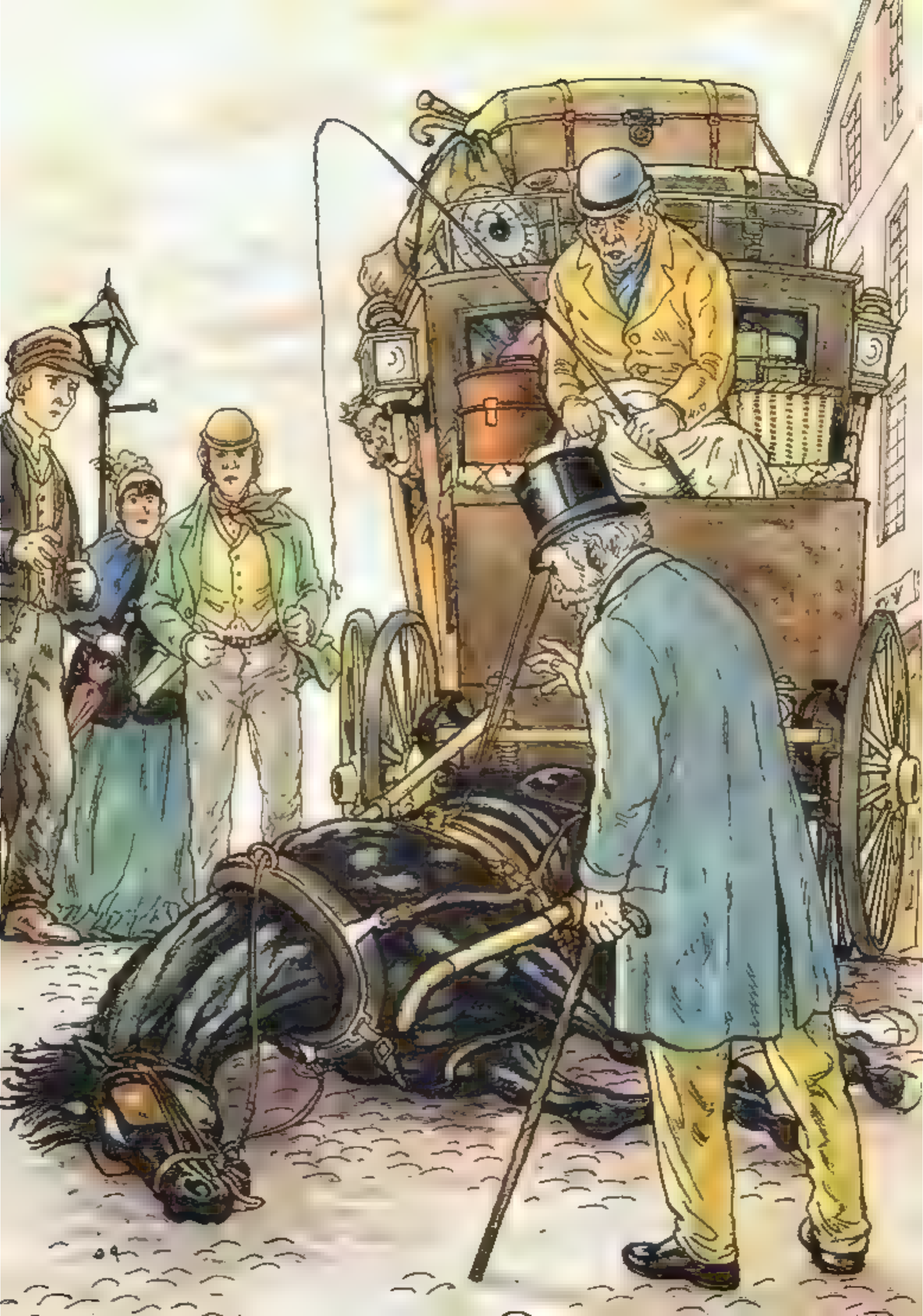


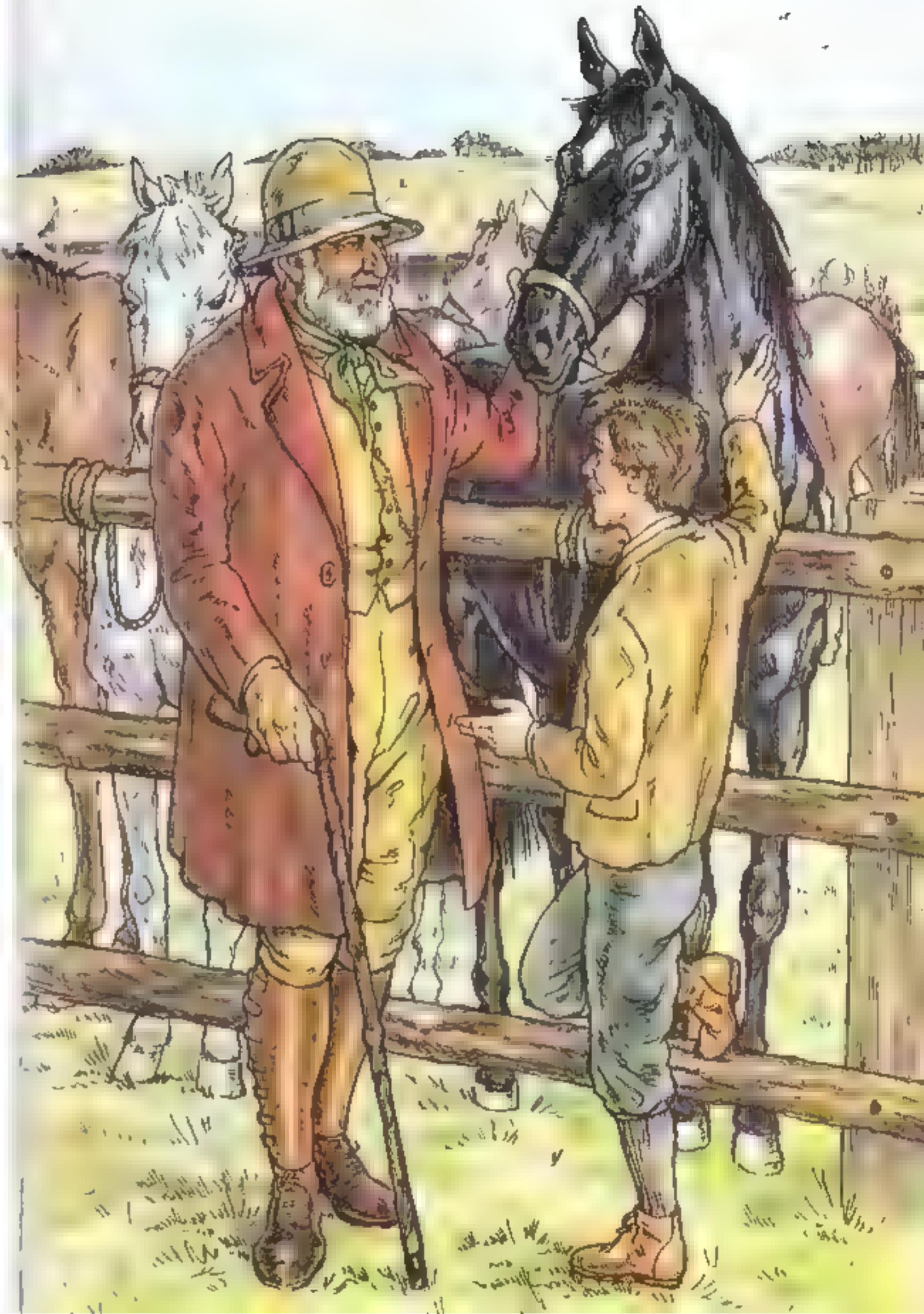
لَا ذِيكَ أَتَى صَعْنَهُ شَرِي مِنْ سَيِّدِي تَجَرُّ قَمَحٍ وَخَدَرٌ مِنْ أَصْدِقَائِهِ.
وَكَانَ الرَّحْلُ كَرِيمًا لَا خَوْفَ عَلَيَّ فِي وَحْدِهِ. وَلَكِنْ كَانَ رَأْسُ عَمَائِهِ يَسْتَهْرِ
فُرْصَةَ غِيَابِهِ فَيَحْمِلُنِي ثِقَلًا تَقْصِبُهُ ضَهْرُ قُوَى أُجِيدٍ وَقَدْ هَزَا الْأَمْرُ سَوْءًا أَنِّي
أُخْبِرْتُ عَلَى الْقَمَلِ بِأَعْدَائِهِ بِرَجْعِ مَرَّةٍ أُخْرَى وَهُوَ يَنْصَبُ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى كَانَ
لِعَمَلِ لَحْظَتِي قَدْ كَثُرَ شَوْكَتِي وَلِإِصْدَاءِ ضَعْفَتِي فِي الْإِسْطَبِ قَدْ أَضَعَفْتُ
عَيْنِي. وَكَثِيرًا مَا صِرْتُ مُكْرَمًا وَتَعَزَّرَ بَعْدَهُ خُرُوجُ مِنَ الْبُيُوتِ نَحْبَتِ إِلَى سَوْدِ
الْمَصْطَبِ.

وَمِنْ خُسْرٍ لَحْظَةٍ لِي أَنَّهُ أَصَبُ مِنْ تِلْكَ الْوَقَعَاتِ بِعَاهَةِ مُزْمِيَةٍ. لَكِنْ صَدِحِي
تُجَدِيدَ قَوْلٍ أَنِّي يَتَحَصَّنُ مِنِّي. فَبَاغَنِي بِأَيِّ صَدَحٍ غَرَبَتْ أُخْرَى. حَيْثُ بَتَّ تَوَقُّعُ
أَنِّي يَكُونُ مَقْصِرِي مَقْصِيرَ حَنْجَرٍ. فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ رَجُلٌ ضَالٌّ قَسِيًّا عَلَى سَوَاقِيهِ.
وَكَانَ السَّوَاقُونَ يَضْمُونَ بِدَوْرِهِمْ حَيَوْنَهُمْ وَيَحْسُونَ غَيْبَهَا.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَرَبَسْتُ بِأَيِّ مَخْطَةِ الْقَبْضِ بِثُلِّ مُرَّةٍ عَادَةٍ مِنْ سَفَرٍ فَحَمَلَتْ
الْعَرَبَةُ بِالثَّقَالِ لَا طَاقَةَ لِأَيِّ حَوْدٍ عَلَيْهَا. وَلَقَدْ نَدَّيْتُ أَقْصَى خَهْدِي. لَكِنْ قَدَمِي
زَلَّتْ فِي أَثَاءِ ضَعْفٍ تَنَنَّا. فَسَقَطْتُ سَقَطَ عَظِيمَةٍ تُحْسِنُ مَعَهَا بِإِقْطَاعِ
نَفْسِي. وَارْتَمَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ عَجْرًا عَلَى تَحْرُكِ

أَشْرَعُ بَعْضُ سَائِرِ يَحْتَوُونَ الشُّيُورَ أَنِّي تَشْدُنِي بِأَيِّ عُزَّةٍ. وَصَتُوا عَلَيَّ دَلُّوا
مِنَ الْمَاءِ. أَخِيرًا تَمَكَّنْتُ مِنَ الشُّهُوضِ. ثُمَّ اقْتَدَيْتُ بَعْضَهُمْ إِلَى إِسْطَبٍ قَرِيبٍ
كُنْتُ فِي الْمَسَاءِ قَدْ اسْتَعْدَدْتُ بَعْضَ قُوَى وَأُجِدْتُ إِلَى إِسْطَبِ سَيِّدِي صَاحِبِ
الْعَرَبَاتِ. وَفَهِمْتُ أَنَّ سَيِّدِي يُفَكِّرُ فِي ذُبْحِي بِسِتْفِيدٍ مِنْ لَحْمِي وَجِلْدِي. ثُمَّ إِنَّهُ
أَقْبَعَ عَنِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ يُحْصَلُ فِي ذَلِكَ مِنْ ثَمَارِ أَقْلٍ مِمَّا يُحْصَلُ إِذَا مَا هُوَ
بَاغَنِي فِي سَوْدِ الْحَبْلِ





هَكَذَا وَجَدْتُ نَفْسِي مَرَّةً أُخْرَى فِي سَوْقِ الْخَيْلِ. وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ نَظَرْتُ
الْخَيُْولَ الْمُهْدَمَةَ. وَبَيْنَمَا نَحْنُ هُنَاكَ، اقْتَرَبَ مِنَّا صَبِيٌّ وَجَدَّهُ وَأَخَذَ يَنْظُرَ إِلَى
فِي إِشْفَاقٍ.

أَشَارَ الْجَدُّ، وَكَانَ مُزَارِعًا، إِلَيَّ وَقَالَ لِلصَّبِيِّ: «هَذَا الْخَوَادُّ كَانَ لَهُ فِي زَمَانِهِ
أَيَّامٌ طَيِّبَةٌ!»

لَكِنَّ الْأَيَّامَ الْحَسَنَةَ كَانَتْ مُقَدَّرًا لَهَا أَنْ تَعُودَ فَقَدْ أَقْبَعَ الْقَسِيءُ حَدَّةً أَنْ
بِشْرَبِي. عَلَى أَمْلِ أَنْ أَشْعِبَ حَابًا مِنْ قُوَّتِي وَهَمِّيَّتِي وَبِذَا، الْاِغْتِرَارُ عَلَى
الْقَسِيءِ حِينَ جَعَلَهُ حَدَّةً مُسْتَوْرٍ الْأَوْحَادَ عَنْ نَعْيِهِ بِي. وَأَوَّلَايَ تُعْطِمُهُ هَتَمُهُ
وَمُضْطَبٌّ وَشُرْعَانٌ، مَا تُحْدِثُ الرِّاحَةُ سَامَةً وَاطْعَامُ تَوْبِيذٍ وَالْمَرْخُ الْعَبِيُّ وَشَعَارِي
الْمُعْتَدَّةُ نَعِيدٌ بِي صَبَاحَتِي وَعَشِيَّتِي

بعد نحو عام ، زكّاني الأحد عند ثلاث سيداتٍ يعيشن في تلك المنطقة من
الريف رُضيت السيدات أن يشتريني ، على أن أخضع لمرحلة اختبار عندما
حاء السائس لاسلامني بدا عني الكدر ، فلم يُعجّنه منطري وخصوصاً آثار
الحرج التي تسوّه زكّني .

تحدثني السائس إلى استطله . وبدأ يعطني بي فحاة وقف يُحدّق بي
ويتفحصني ثم صاح : « غوة بحميتة بيضاء فوق الجبهة . وساق بيضاء ! أنت تلاك
ثبوتني ! تذكرني ؟ » لال هو الذي كدّت أفتلك بحميتي « وراح يرنث حساني
وقدّ عمره فرح عظيم .

يشتريني أن أدكر أن السيدات الثلاث أحسني أبيض وأما أعيش في هذا
سبب منذ عام في سعادة عامرة وقد وعدت سيداتي ألا يعنني أدا . فرال عني
كل خوف بل قد وفقت السيدات سائسي لئلا هو على أن يُعد بي اسمي
الخدمة تلاك ثبوتني



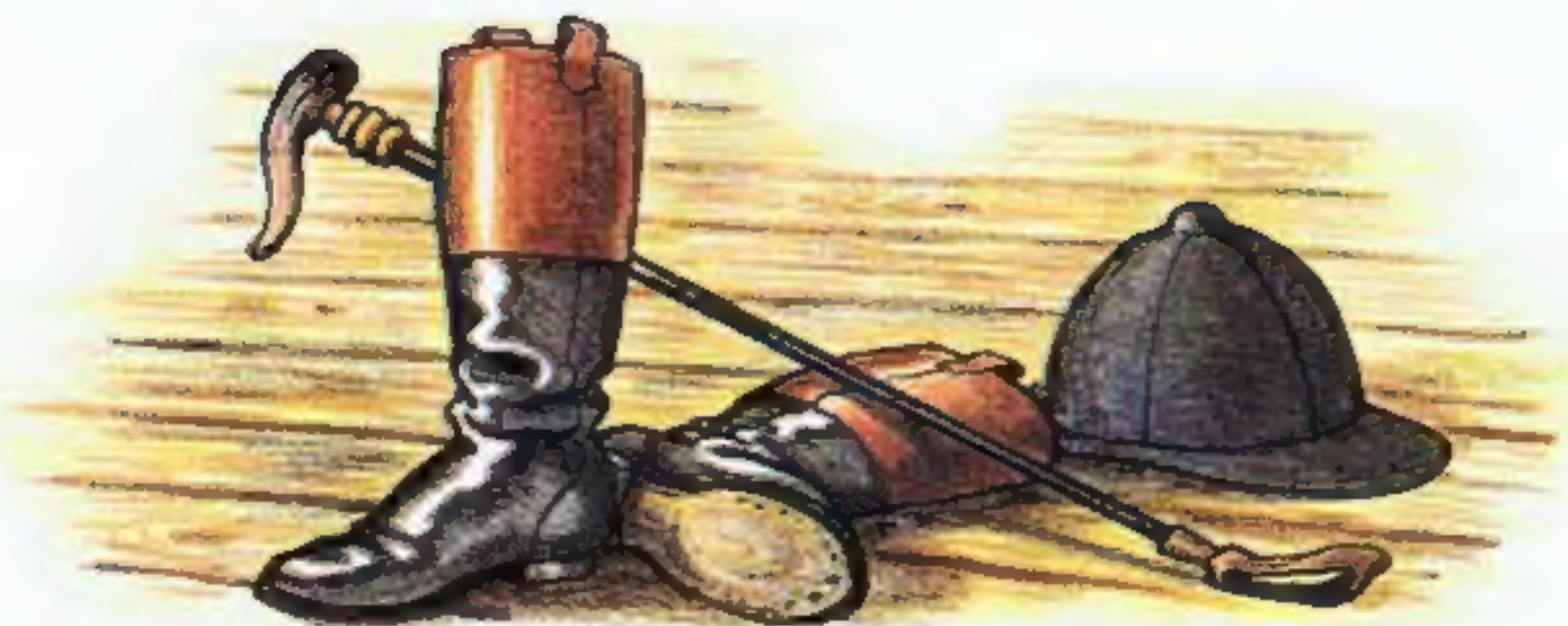


آنا سول

عاشت آنا حياة هادئة. ولدت في يارماوث في إنجلترا، في العام ١٨٢٠. كانت أمها شاعرة متديّنة، أشرفت بنفسها على تعليم ابنتها الطفلة، وتركت فيها أثراً بالغاً. فكان أن نشأت الفتاة، كأُمها، متديّنة مُحبة للأدب.

أصيبت آنا في صغرها بحادثة أعطت ساقها فاضطرت إلى ترك المدرسة. لكنها كانت لا تزال، من حسن الحظ، قادرة على ركوب الخيل. وكان ذلك مصدر سعادة لها. وبالرغم من أنها لم تكن قادرة على المشي بغير عون، فقد كانت بارعة في ركوب الخيل وقيادة العربات، تعامل الجياد برفق ومحبة، حتى قيل إنها كانت تُؤثر مخاطبة الخيل والتودّد إليها على استخدام العنان.

وَمَعَ الْأَيَّامِ أَخَذْتُ صِحَّتُهَا تَسْوَاءً. وَعِنْدَمَا بَلَغَتِ الْخُمْسِينَ كَانَ عَلَيْهَا أَنْ
تُلَازِمَ الْمَنَزَلَ. فِي هَذِهِ الْمَرَّحَلَةِ كَتَبْتُ بَلَاكَ يُوتِي مُسْتَقْبَدَةً مِنْ مَعْرِفَتِهَا الْوَاسِعَةِ
بِالْخَيْلِ وَمُتَّخِذَةً خَيْوَلًا عَرَفْتُهَا، شَخْصِيَّاتٍ فِي كِتَابِهَا. وَفِي ٢٥ نَيْسَانَ (إِبْرَيْلَ)
مِنْ عَامِ ١٨٧٨ مَاتَتْ أَنَا بَعْدَ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ مِنْ ظُهُورِ كِتَابِهَا فِي الْأَسْوَاقِ.



كتب الفراشة - القصص العالمية

- ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد
- ٢ - أوليفر ثويست
- ٣ - نداء البراري
- ٤ - موبى ديك
- ٥ - البحار
- ٦ - المخطوف
- ٧ - شبح باسكرفيل
- ٨ - قصة مدينتين
- ٩ - مونفليت
- ١٠ - الشباب
- ١١ - عودة المواطن
- ١٢ - الفندق الكبير
- ١٣ - حول العالم في ثمانين يومًا
- ١٤ - رحلة إلى قلب الأرض
- ١٥ - كنوز الملك سليمان
- ١٦ - سائلس مارنر
- ١٧ - شيرلي
- ١٨ - رحلات غاليغر
- ١٩ - بعيدًا عن صخب الناس
- ٢٠ - مغامرات هاكيلبري فين
- ٢١ - ديفيد كوبرفيلد
- ٢٢ - البيت المؤجس (بليك هاوس)
- ٢٣ - المهر الأسود (بلاك بيوتي)
- ٢٤ - جين إير
- ٢٥ - روبنسون كروزو
- ٢٦ - جزيرة الكنز
- ٢٧ - مرتفعات وذرنغ
- ٢٨ - الأمير والفقير
- ٢٩ - توم براون في المدرسة



كتب الفراشة

القصص العالمية ٢٣. المهر الأسود - بلاك بيوتي

قصة جواد وديع شجاع، ومن خلاله قصة الحياة القاسية والأخطار التي كانت تعيشها الجياد في زمن الرواية. إلا أن الكتاب ليس تسجيلاً لأوضاع كانت سائدة فحسب، بل هو أيضاً قصة أحداث مشوقة مثيرة، قصة بطولات وتضحيات، جعلت هذا الكتاب منذ نشره قبل أكثر من قرن، وحتى اليوم، من الكتب المحببة عند الكبار والصغار على السواء، حتى اتخذت مادته أفلاماً سينمائية ومسلسلات تلفزيونية.



مكتبة لبنات ناشرون



01C196823